أكاديمية الفنون
ACADEMY OF ARTS

الفن المعاصر

مجلة فصلية متخصصة لترجم الجديد فى الفنون المعاصرة والثقافة

CONTEMPORARY ART REVIEW - REVUE D'ART CONTEMPORAIN

جون بول سارتر
نص مكتشف : سيناريو "المقاومة"
سريل سميث
كيف دفن الماركيز دى ماركس!
إريكاكورتيس بزايس
توظيف العلامات المرجعية
ساه وتنارو
تأثير السينما الأخيرة فى الفيلم اليابانى
رايس نسو
الرقص والتكنولوجيا
لورى سوتوسون
النظرية الموسيقية والأداء
ايسانوس وديوو
المواقع البوتوبى للهوية السراء
جيوزاى سوتسون
مقاربات فى البلاغة التشكيلية
ماركوس سيكلر
قراءات للتفكيكية
فيليب أوسلاندر
الحياة ووسائل الاتصال

العدد الثالث - شتاء ٢٠٠١

الفن المعاصر

مجلة علمية محكمة

تصدرها اكاديمية الفنون

رئيس التحرير أ . د. فوزى فهمى

مدير التحرير د . وائل غالى

سكرتيرا التحرير د . محمد مهران

احمد رمضان

مستشارو التحرير

أ . د . سمحة الخولى

أ . سعد اردش

أ . توفيق صالح

أ . د. نبيل راغب

أ . د. رتيبة الحفنى

أ . د. صلاح قنصوة

أ. صفوت كمال

هيئة التحرير

أعضاء هيئة التدريس بأقسام اللغات بمركز اللغات والترجمة بالأكاديمية

المحتويات

كلمة المحرر

مسرح

توظيف العلامات المسرحية ترجمة : د. خالد سالم مراجعة : أ.م.د. حسن عطية ١٥

تعليم المسرح التجريبي ترجمة : محمد الجندي مراجعة : أ.د. نبيل راغب ٣١

سينما

علامات الصور السينمائية ترجمة : د.جيهان عيسوى مراجعة : توفيق صالح ٤٥

تأثير الفيلم الأجنبي في السينما اليابانية ترجمة : نجلاء الحفنى مراجعة : د. عادل امين ٥٥

موسيقى

الموسيقى والأداء ترجمة : سامح فكرى مراجعة : د.نيفين علوبة ٧٥

تعليم التأليف الموسيقى ترجمة : د. فيفى فريد مراجعة : أ.د. حمادة إبراهيم ٩٣

رقص

الرقص والكمبيوتر ترجمة : هبة نبيل مراجعة : د. مصطفى عثمان ١١٣

الرقص والتكنولوجيا ترجمة : داليا صبرى مراجعة : أ.د. ماجدة عز ١٢١

فنون شعبية

الحياة في الغنية ترجمة : د. سومية مظلوم مراجعة : صفوت كمال ١٢٩

الهوية السمراء ترجمة : د. سهير الجمل مراجعة : محمد الجوهرى ١٦٧

فن تشكيلي

الحقيقة أمن في اللوحة أم في العين؟ ترجمة : د. محمد توفل مراجعة : أ.د. محمد حامد ١٩٢

البلاغة التشكيلية ترجمة : د. إيمان حجازي مراجعة : أ.د. رمزي مصطفى ٢١٥

نظرية نقدية

قراءات للتفكيكية ترجمة : أ.د منى صفوت مراجعة : أ.د. حمادة إبراهيم ٢٢٩

الخدانة ومابعدها ترجمة : احمد حسن مراجعة : أ.م.د. حامد غانم ٢٥١

نظرية ثقافية

السياسات الثقافية والموروث الثقافي ترجمة : أ.د. امين الرباط مراجعة : أ.د. عبد الحميد حسن ٢٦٩

كيف دفن الماركسيون ماركس؟ ترجمة : د. لنا يونس مراجعة : أ.د. منى ابو سنة ٢٠٧

إتصال

تحديد الفروق بين الحياة ترجمة : سالي الأشقر مراجعة : أ.د. مختار التهامي ٢٥٣

إبداع

نص "المقاومة" ترجمة : نورا امين مراجعة : أ.د. رفيق الصبان ٢٧١

مصطلحات

التسامح ترجمة : سهى يحيى مراجعة : أ.د. صلاح قنصوة ٤٠٢

تعريف بكتاب العدد الدوليين

جون بول سارتر *Jean-Paul SARTRE*

اشهر كتاب فرنسا الوجوديين بعد الحرب العالمية الثانية.

لارى سولومون *Larry SOLOMON*

أستاذ الموسيقى فى بيما كوليج، وجامعة أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية.

جوران سونسون *Göran SONSON*

استاذ علم العلامات بقسم علم العلامات الثقافية فى جامعة لوند بالسويد .

فيليب اوسلاندر *Philip AUSLANDER*

مفكر إنجليزي، وناقد متخصص في فنون الأداء بالمملكة المتحدة.

رونالد والترز *Ronald WALTERS*

باحث، و مدير معهد القادة الأمريكي الإفريقي بالولايات المتحدة الأمريكية.

جوكي كولف Joukje KOLFF

مهندسة هولندية الأصل امريكية الجنسية متخصصة في دراسة الرقص فى مراكز الأجهزة الإلكترونية للابحاث العلمية فى جامعة ولاية اهيو.

David THROSBY

دافيد ثروسبى

استاذ الاقتصاد فى جامعة مكارى فى سيدني باستراليا.

Arjo KLAMER

ارجو كلامر

استاذ اقتصاديات الفن و الثقافة فى جامعة اراسموس فى روتردام بهولندا .

Emiko KAKIUCHI

إميكو ككيوشى

مدير مكتب العلاقات الدولية فى معهد الدراسات المتقدمة فى جامعة الأمم المتحدة فى طوكيو باليابان .

Paola AGOSTINI

باولا آجوستينى

أستاذة الموارد البيئية و الطبيعية فى البنك الدولي فى واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

Richard A. ENGELHARDT

ريتشارد أ. إنجلهارد

المستشار الثقافي الإقليمي لمنظمة اليونسكو الدولية بفرع آسيا و المحيط الهادي في تايلاند.

Peter SZENDY

بيتر سيندى

مترجم اعمال عالم الجمال الألماني الأشهر تيودور ف. اد ورنو في فرنسا، و مؤرخ موسيقى بارز .

Tanella BONI (1954-)

تانلا بوني

كاتبة بارزة، ومؤلفة، ومبدعة، وأستاذة الفلسفة فى جامعة ابيدجان .

سيريل سميث Cyril SMITH

أحد أشهر المهندسين في سيدني بأستراليا .

إرينا د. كوستاش Irina D. COSTACHE

أستاذة مساعدة متخصصة في الفنون البصرية.

جو هيني Joe HEANEY

أستاذ في جامعة ارشيف علم الموسيقى الإثنولوجية في المملكة المتحدة .

جيم هيملتون Jim HAMILTON

أحد كبار النحاتين في غرب الولايات المتحدة الأمريكية. رحل عنا في العشرين من أبريل من العام السابق ٢٠٠٠ . عن عمر يناهز الثمانين عاما.

ساتو تاداؤ Sato TADAO

ولد عام ١٩٢٠ في محافظة تيجاتا. عمل رئيسا لتحرير مجلتي "النقد السينمائي"، و"علوم الفكر". كما عمل ناقدا سينمائيا، بجانب إصداره لمجلة "دراسات في تاريخ السينما" eiga-shi Kenkyú على نفقته الخاصة عام ١٩٧٣، والتي نشر بها كثيرا من الوثائق والدراسات الخاصة بتاريخ السينما. يعد البحث المنشور له في هذا العدد، جزءا من دراسة اشمل له عن تاريخ السينما اليابانية.

إريكا كورتيس بازايس Erika CORTÈS BAZAES

رئيس مسرح التشيلي .

أيساتوسى ونيو Aïssatou sy- wonyu

أستاذ فى جامعة روان بفرنسا .

ماركوس سيسكر Marcos SISCAR

أحد المختصين العالميين فى التفكيكية .

فرانك كايم Frank KEIM

أستاذ بجامعة اولم بالمانيا .

كلمة التحرير

الأقرب ، الأبعد ، الأعمق ، الزائل ، الأبديّ، أبعاد تتداخلُ في الفنون المعاصرة العالمية ، في تموجات تتأخى حينًا وتتنافر حينًا ، في تجاذُب يُشعرك بأنّ الفاجعةَ والغبطةَ توحم رحِمًا ، بسبب من هذه التوءمية ، يبدو قلقُ الفنان العالمي هادئًا وديعًا كأنه بوح عاشق .

ونتساءلُ، فيما نقرأ هذه الأبحاث والدراسات والمقالات ، من يتكلّم هنا؟ المتنوعُ ، المتعدد ، التراب، أم الفردُ الإنسان؟ أهو المرئي أم اللامرئي؟ ذلك أننا نكاد لا نميّز، تحت قبة هذا الفن المعاصر العالمي الذي يسبح في ماء القلق، بين الشخص وظلّه ، الشيء وشبحه . وربما استطعنا أن نُصغيَ تحتها إلى أموات يخاطبون أحياء ، وإلى أشياء تتحاورُ مع أشياء أخرى. وربما شبه لنا أن هناك بين أحضان بعض الأبحاث والدراسات والمقالات أصدقاء يلوّحون لنا من الأمكنة التي لا عودة منها.

ولئن كان حسّ الفاجعة والزوال يتغلغل في الأبحاث والدراسات والمقالات، إلى أبعد مما يتغلغل حس البقاء والغبطة ، فإننا نشعر بأنها مغمورة بندى التحولات، حتى ليكادُ الزوالُ يبدو كمثل البقاء ، وتكادُ الفاجعة تكون عرسًا .

فهذا الفن المعاصر العالمي الذي يهمسُ به صوتٌ خفر كأنه الصمت ، يبدو رثاءً للوجود لكن في صيغة من المدح، ورفضًا للأشياء لكن في شكل من

الصداقة، وموتًا - لكنه الموت الذى لا يجدُ نفسه إلا فى ما يمجدُ الحياة . هكذا يبدو هذا الفنان العالمى - إذا جاز هذا التعبير العام - كأنه يحيا فى المفصل الذى يَصلُ بين الحضور والغياب، في شرْق يتبطّنُ الغرب، فى غرب يتبطّن الشرق. أو لنقل، يبدو كأنه يحيا آتيًا ذاهبًا على الجسر الذي يَجمعُ بين النقائض، ويَصلُ بين الأطْراف.

التحرير

مغادرة العولمة التعصب*

المشكلة، إذن، ليست في العولمة بذاتها، بل في ريع النفوذ في كنفها، واستخدام الأقوياء لذلك النفوذ لصالحهم، على نحو قد يتنافى حتى مع مبادئ العولمة، كما الحال مع الإجراءات الحمائية المذكورة، أو القيود على حرية تنقل الأشخاص. ولعل ذلك ما أراد أن يقوله وزير المالية الهندي، عندما ذهب إلى أن "فوائد العولمة بديهية من الناحية النظرية". غير أن العملية "تقع تحت سيطرة الشمال إلى حد بعيد، وهي لذلك غير عادلة". هكذا يبدو أن سجال العولمة قد بارح، من الجانبين، مجال التأكيدات الأيديولوجية، وصياغاتها الحصرية شمولا وابتسارا في الآن نفسه، ليندرج في ضرب من التناول القطاعي والمحدد. يصح ذلك على نحو خاص على المعترضين على العولمة، أولئك الذين لا يكتفون بالتظاهر، وبترديد ما كان من الشعارات فضفاضا وضجيجا لفظيا، ليتولوا، من خلال منظماتهم غير الحكومية، وهي في الغالب متخصصة ومدعومة من هيئات الأمم المتحدة، عملاً هو من قبيل عمل الخبراء. وبهذا المعنى فهم يقدمون، لدى فضح التداعيات السلبية للعولمة وأوجه إجحافها، تقارير موثقة بالأرقام والوقائع. كان لبعضها فعل بالغ الأثر في تقدم النقاش حول تلك المواضيع. وفي محاجة المؤسسات الاقتصادية العالمية وسواهما، على نحو صلب، مركز وقادر على الإقناع. يبدو، إذن، أن السجال حول العولمة خرج من إطلاقية الأيديولوجيا، إلى نسبية المشاكل العينية. فاتخذ بذلك منحى يقربه من أسلوب التداول الديموقراطي، أقله من حيث الكيفية إن لم يكن فعلاً. وذلك قد لا يكون كافيا لحل كل المشاكل، لكنه قد يمثل الإطار الأفضل ... لانعدام سواه. أما نحن، فربما عاد عجزنا عن الإسهام في ذلك السجال على نحو فاعل، إلى كوننا لم نفهم ذلك التحول، وما زلنا نقبل عليه بالصراخ أو بالتحيب.

صالح بشير

* عن مقال « صالح بشير، سجال العولمة غادر إطلاقية الأيديولوجية إلى نسبية المشاكل، صحيفة الحياة، عدد الأحد ٤ فبراير ٢٠٠١.

ت.س.إليوت شاعر السخط والظلمات

نظرية ثقافية

نقدم

هنا، أول مرة في اللغة العربية،
لمدخل القسم الثالث "السياسات الثقافية
والموروث الثقافي" * لدافيد ثروسبي (ص ١٢٨-
١٢٩)، والفصل الثامن "الاستثمار في الماضي ، اقتصاديات
الموروث الثقافي" (ص١٣٠-١٣٢) لأرجو كلامر، و دافيد ثروسبي،
و الذي شارك فيه إميكو كاكيوشي تحت عنوان "الحفاظ على الموروث
ونمو المدينة ، حالة ناجاهاما" (ص١٣٣-١٣٥)، و باولا أجوستينى تحت
عنوان "تقويم ما لا يقبل القيمة ، حالة مدينة فاس" (ص١٣٦-١٣٩)
ورتشارد آ. إنجلهارد تحت عنوان "تعبئة الجماعة للحفاظ على الموروث
والتنمية" (ص١٤٠-١٤٥)، و ذلك ضمن التقرير الثقافي العالمي /٢٠٠٠، الذي
نشرته منظمة اليونسكو في باريس تحت العنوان العام ، "التنوع الثقافي، الصراع
و التعددية". ولا بد من الإشارة الاستهلالية إلى تميز مصطلح heritage- الموروث
الذهني (العلمي، والديني، والأخلاقي، والعاطفي، والفلسفي) والموروث المادي-
عن مصطلح التراث tradition وإن كان يتحدر منه. وهو ينهض على فعل
التملك العفوي أو القصدي ، هو التراث متملكًا. و يمثل الموروث - كفعل
تملك - وضعا عينيا. التراث مجرد، والموروث عيني. إذن، الموروث هو
امتلاك التراث وتحليله إلى مكوناته، والتراث هو الموروث حين يتركب
من مكوناته. وقد كان الشاعر الألماني الأكبر جوته قد فرق هذا
التفريق في رائعته "فاوست"، قائلا إنّ "ما قد ورثته من آبائك،
حصله في سبيل أن تمتلكه". يمثل التراث عنصرا خفيا
في حياة الناس. وهو يتحول إلى عنصر مفصح
عنه، ومقر بوجوده سلبا أو إيجابا، حالما
يكتسب صفة الموروث.

---

* هذه هي الترجمة العربية الكاملة لمجموعة الإسهامات الواردة في تقرير الثقافة العالمية world culture rfport لعام ٢٠٠٠، والصادر عن اليونسكو بباريس في نسختة الإنجليزية، تحت عنوان cultural diversity, conflict and pluralism، ص ١٢٨-١٤٦.

العولمة والثقافة*

بدأت - في العام الماضي - تظهر مؤشرات تراجع الاقتصاد الأميركي. والاقتصاد الأميركي هو - بلا شك - أهم الاقتصادات، باعتباره القاطرة التي تجر خلفها الاقتصاد العالمي بأسره، وباعتباره النموذج الأمثل للاقتصاد الجديد. ولذلك استطيع أن أفهم انزعاج قادة العولمة، ومن بينهم قادة المنتدى الاقتصادي العالمي، وقادة المؤسسات الاقتصادية الدولية. واستطيع أن أفهم الاهتمام المتزايد في اجتماع المنتدى بهذا الموضوع. وكذلك بالاقتصاد الياباني الرافض للتحسن منذ سنوات، على حساب الاهتمام الذي كان معدا لموضوع الفجوة التي تفصل الاقتصادات المتقدمة عن الاقتصادات الأخرى. وشد نظري بشدة، ونظر الآخرين بالتأكيد، الغياب الرسمي الأمريكي - وللمرة الأولى - عن اجتماع دافوس هذا العام. ولم يقدم - حسب علمي - أي مسؤول أميركي تفسيرا مناسبا لهذا الغياب. هذا الغياب يجدد الظنون عندي حول علاقة الانتخابات الأميركية الأخيرة، وحملة بوش، وفوز الجمهوريين من ناحية بمسيرة العولمة من ناحية اخرى. لقد طرحت، منذ وقت غير قصير، رفضا لفكرة أن العولمة هي بالضرورة أمركة، أو أن العولمة ليست أكثر من وجه آخر للأمركة. وطرحت أيضا أن الولايات المتحدة قد تركب - مثل غيرها - موجة العولمة لتحقيق منافع معينة. ولكنها - وأيضا مثل غيرها - قد تجد نفسها وقد غلبتها في حين أو آخر موجة العولمة، فإذا بها تبحث مثل غيرها عن وسائل إنقاذ. وفي رأيي أن أميركا تحاول، جاهدة، معالجة آثار صدمات، والاستعداد للتصدي لصدمات جديدة قادمة. وكلها صدمات ناتجة مباشرة عن ارتطامات العولمة المتسارعة بالقيم وطبائع الأشياء، وما ارتضاه البشر لأنفسهم عقائد أو مسكنات تراثية. ولن تكون مفاجأة لي إذا قامت الولايات المتحدة قريبا بإجراءات، ووضعت سياسات، وأقامت تحالفات، بهدف إبطاء مسيرة العولمة، وترشيد توجهاتها.

جميل مطر

* عن مقال ، جميل مطر، قادة العولمة مستفزون، صحيفة الحياة، عدد الأحد ٤ فبراير ٢٠٠١.

يحاول
البحث "كيف دفن الماركسيون
ماركس؟"* لسيريل سميث، الذي نقدم له هنا،
أن يجيب عن سؤال أكبر من مجرد رحيل مذهب وصاحبه،
وهو السؤال التالي : كيف ندفن القرن العشرين والألفية الثانية
إذا لم نجهز انفسنا و عقولنا وذهنيتنا لطيّ صفحات القرن السابق، وإذا
لم نرتد ثياب الحداد على الحروب والهزائم والأيديولوجيات والانتصارات و
النظم والمذاهب والعنف الذي وسم القرن المنصرم بسماته البارزة؟ أوحى الشعور
بالندم، الذي خيم على الاحتفالات والاحتفاءات و المؤتمرات و الحفلات حول القرن
و الألفية، بأننا نولي بصرنا شطر احداث القرن، بروح الذاكرة، او بقلب الذكرى، او
بالبكاء على الأطلال، من دون ان نستكشف المدلولات التي انطوى عليها القرن
العشرون و طواها معه. هل نموه الجرائم و الرذائل؟ هل علينا ان نغسل الخطايا من
جديد؟ فغسل الخطايا هو النشاط الأول لنهاية القرن، غسل الماضي الملوث، والأموال
الملوثة، والضمير الفاسد، والكوكب الملوث. ويقترن تطهير الذاكرة بتنظيف البيئة،
أو التطهير العرقي للبشر. فنحن نعيش مرحلة تاريخية تتسم بالانتقال من
تصور للتاريخ ينتقل من الخلف إلى الأمام in progress ، حيث كانت
المشكلات جميعها تجد طريقها دوما إلى الحل، إلى تصور ينتقل من
الأمام إلى الخلف regressive، يتناقض من دون ان يتقدم. وكان
التاريخ يرجع إلى الوراء، وكان قوانين الطبيعة تحول
دون إمكانية ان يسير الزمان القهقرى.

---

* هذه هي الترجمة العربية الكاملة لبحث Cyril Smith how the"marxists" buried marx? لمؤلفه، وعنوانه على شبكة الإنترنت الدولية : http://www.marxists.org/reference/ardive/smith-cqril/warkp/millenni/simithz.htm.

كيف دفن الماركسيون ماركس ؟

تأليف : سيريل سميث
ترجمة : د. لنا يونس
مراجعة : أ.د. منى أبو سنة

كثير من الناس يقول - في هذه الأيام - إن الماركسية قد ماتت، و غالبا ما يكون في ذهن هؤلاء انهيار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية الروسية. لكن بعض الماركسيين ينكر ذلك. إلا أن أيا من الفريقين لا يبدي ميلاً إلى التحدث عن الأفكار التي يدور الجدل حول موتها أو بقائها.

أتصور أن مجريات الفكر منذ أكتوبر ١٩١٧، ومهما تبدو بعيدة عن هذا الحدث، تعكس المشكلات الناجمة عن الثورة الروسية. وبالنسبة إلى ملايين العمال، كان أكتوبر شعاعا من الأمل لحياتهم، في حين أنه كان تهديداً بالموت للطبقات الحاكمة في العالم.

ومهما تنظر إلى مشكلات المجتمع الدولي، سواء من مقاعد المصانع أو من قسم الفلسفة في جامعة ما، سواء بحثت عن تغيير جذري أو عن كبت مناهض تماما للاشتراكية، فإن التجربة السوفيتية قد نُظر إليها على انها البديل للنظام الاجتماعي السائد.

وعندما افضت محاولة إرساء طريق جديدة للحياة، إلى البيروقراطية البشعة التي ترتبط حالينا - على اتساع العالم - باسم ستالين، فإن أنماط الفكر جميعها عكست الإخفاق. واليوم، فإن الناتج من بقايا هذه التجربة يظهر، في قوة ووضوح، طريقة التفكير لدى الشعوب، وبالنسبة إلى كثيرين، فإن موضوع الاشتراكية قد اغلق حالينا. ولا يمكنك تغيير النظام.

لقد قلت آنفا إنني لا اوافقهم البتة. وعلى العكس، ومع أن هذا الوقت يبدو بغيضنا لترقيع انقاض الماركسية، إلا انه اخيرا، اصبح من

الممكن ان ننظر مجددا إلى أعمال ماركس، وإلى التجربة الاشتراكية ككل. إن حقيقة اختفاء الستالينية اعطت لنا الحرية لمساءلة النظرية، التى طالما استحوذت على ثقتنا.

بوجدانوف

ولنسأل انفسنا عن حقيقة ما حاول ماركس ان يفعله، وان نقرا ما كتبه فى صدق، وأن نعيد فحص النصوص التى نعتقد اننا نعرفها تماما. فإن إعادة الفحص تقودنا - غالبا - إلى نتائج مثيرة.

تتفق آراء ماركس مع كثير من آراء بعض الشخصيات التاريخية. وفيما يلى" قاعدة اختبارية عامة". وهذه لن تكون بعيدة عن موضوعنا، دعنا نعد"س" رمزا لأى عبقرى. عندئذ ستظهر نزعة" س" او تصير"س" أو نظرية" س"، وتكون فى معارضة مباشرة مع معتقدات" س". ومثال تجربة السيد المسيح معروف، ولا يحتاج إلى تعليق. وهناك مثال آخر اقل شهرة من السيد المسيح ، وهو شخصية" إسحاق نيوتن"، ولا تزال الكتب تخبر التلميذ الساذج البرىء بالنظرية الميكانيكية لنيوتن، علما بان مؤلفى هذه الكتب يعجزون عن طرح الأدلة التاريخية لهذه النظرية. والآن اصبح مؤكدا ان مؤلف كتاب" المبادئ"، مكتشف الفيزياء الحديثة، ماهو إلا متمم ومكمل لآراء الكيمياء القديمة والقابالية، وسحر النساك واللاهوت الآرى، وجميعها معارض تماما

للفلسفة الميكانيكية.

وفى قضية كارل ماركس نجد العوائق التى تمنعنا من تقدير فكره حق قدره، مدعومة بعدة طبقات إضافية واقية. إن الماركسية ليست منهجا فقط، ولكنها افكار. وهى ايضا ليست بالأفكار النظرية، وإنما هى نشاطات الحياة لعدد كبير من الناس.

إن هؤلاء الرجال والنساء، الذين خصصوا حياتهم كاملة للصراع من اجل ما يعتقدون انها نظريات ماركس، مقتنعون بانهم يصارعون من اجل تحرير الإنسانية من الاستغلال والقهر. كانت نظرياتهم هى محاولة لإيجاد حساب مترابط لما يحدث فى العالم، بما فى ذلك نشاطاتهم انفسهم. وإنه من المؤلم لهم ان يشقوا طريقا للخلاص من تصوراتهم الخاطئة، التى ارسوا عليها جهودهم. ولذا، فإن مما لا يثير الدهشة ان كثيرين وجدوا ان من السهل لهم دفن الأمر كله.

عندما اتهم الماركسيين بدفن ماركس، فانا لا ادين المحاولات التى تبذل لتطوير الآراء القديمة، لتصبح ملائمة للحاضر، فهذا - بالطبع - شرعى وقانونى. لكننى اتحدث عن الإجراءات التى طمست وانكرت الرؤى الأصلية لماركس.

كل جيل من الماركسيين ورث مجموعة من الآراء، ودافع عنها - فى شدة - ضد النقاد والمعارضين. وهؤلاء المعارضون غالبا ما يجهلون ما يعارضونه، لكن هجماتهم هذه ساعدت المناهضين لماركس. وبعض الأشخاص المتميزين فى هذه الحركة الماركسية كانوا يدعونهم "المسئولين"، وكانت تؤخذ فقرات من أعمالهم، وبعدها تصبح هذه المقتطفات موضوعا للنقاش.

وعندما أصبحت الماركسية مذهبا معترفا به من عدة منظمات، انطلق مدفع التعصب. كل شخص اعترض، او أبدى تفسيرا مغايرا، كان يعد عدوا. أصبحت آراء الماركسية المتعصبة فى حماية الدولة، وما استتبع ذلك من إجراءات العزل والنفى والعنف والموت.

لهذا، فإذا أردنا ان نفهم ماذا تقول آراء ماركس عن عالمنا المعاصر، فإنه

لا يمكننا ذلك من خلال قراءة كتبه فقط، بل يجب أن نعيد رسم الطريق التي منها ظهرت الماركسية إلى الوجود، لنرى كيف وأين دفن ماركس. وإنني متأكد من أنني لست الوحيد الذي يقوم بهذا العمل اليوم، وهو إعادة فحص التاريخ، فبعض الناس يود إعادة بناء الماركسية، وهناك آخرون يحاولون اكتشاف وتصحيح بعض التشوهات، التي هي واضحة تمامًا الآن. وكل واحد من هؤلاء - رجلاً كان أو امرأة - يجب عليه أن يكون الأساس في عمله هو تجربته الشخصية. أعتقد أن هذا العمل مفيد، لكنني أعتقد أنه يجب التنقيب بعمق أكثر.

فريدريش إنجلز

وفي هذا الجزء، سأحاول إعادة رسم خطواتي، وأحاول شق طريقي، وأعود إلى آراء ماركس الحقيقية. دعني أكرر قولي إنني لا أبحث عن ماركس حقيقي، أصلي، نقي أو مثالي، حتى يعطينا إجابات صحيحة، فشخص كهذا لم يوجد قط ؛ أنا فقط أريد أن أرسي حقيقة آراء ماركس ، حتى أرى ماذا يريد أن يقول عن عالمنا المعاصر.

إن أعمال ماركس أصبحت منتشرة في منتصف القرن العشرين، وفي الستينيات والسبعينيات منه، ظهرت أعماله المتميزة. وصعوبة دمج هذه الأعمال في الصورة المتعصبة التي رسمت له، عولجت بأن نسبت هذه الأعمال إلى ما سمي" بماركس الشاب".

لو تصورنا أن هذا" الماركس الشاب" في عام ١٨٤٤ كان صغيرًا، فإنه في الواقع كان حينئذ في السادسة والعشرين من عمره، عندما كتب"مخطوطات باريس" ، وكان متزوجا وله ولد، ثم فقد عمله آنذاك

كمحرر فى صحيفة كبرى. ولكن النص الآخر المسمى" الأسس"، كتبه وهو فى سن الأربعين، وهذا النص المتعصب يعارض تماما ما كتبه قبل خمسة عشر عاما. إن اعمال ماركس فى العقد الأخير من عمره، كانت مزعجة جدا لموضوع التعصب والمتعصبين.

من الطبيعى انه فيما يقرب من نصف قرن من صراع ماركس السياسى والعمل العلمى، نشأت تقلبات واستطرادات واخطاء، ولكن كان له هدف مركزى واحد فى حياته ، هو محاربة استغلال الإنسان. وقد كافح من اجل إيجاد ممر إلى عالم بلا استغلال او قهر، حيث يتمكن الرجال والنساء من تطوير قدراتهم الإنسانية كأفراد احرار فى مجتمع حر، بلا تشويه من قوى الدولة أو النقود.

وكان يعتقد ان تحرير الإنسانية يجب أن يرتكز على حركة الطبقة العاملة لتحرير نفسها، وقد اوقف نفسه على الأشكال الديمقراطية، ولم يكن لديه وقت للانضمام إلى منظمات سياسية منضبطة وسلطوية تعمل خلف جماعات الناس العاملين. وكان معارضا تماما للقادة الذين يعينون انفسهم بانفسهم، مهما تكن النيات طيبة، لبناء دولة قوية. ولا يزال هذا الصراع لحرية الإنسان متداخلاً مع المقاومين للحرية. كيف يحدث ذلك؟

انا لا احاول كتابة تاريخ الحركة الاشتراكية، لكننى انظر فى بعض مراحل تطور اسطورة ماركس، وأود التركيز على اسسها الفلسفية. وبدلا من التحرك تاريخيا تبعا للاحداث، فإننى سأتناول اربع شرائح من التاريخ، بادئا بأحدثها :

- تكوين النسخة الستالينية المعروفة خطأ" بالماركسية اللينينية".
- رؤية الشيوعية الدولية.
- الأرثوذوكسية الدولية الثانية قبل ١٩١٤، وعلاقاتها بأعمال إنجلز .
- اتجاه كارل ماركس نحو الماركسية.

واتمنى استبعاد جوانب التشويه، والفهم الخاطئ الذى تسلل فى المراحل المتعاقبة، اتمنى ان اشق الطريق لإعادة اختبار الأفكار الحقة لماركس. وهناك ثلاث افكار رئيسة تظل تبدو فى القصة، وهى ، الطريقة التى يتحرك بها التاريخ، وطبيعة

الدولة، ودور الحزب الثوري.

فلسفة البلطجة

بما أن هذا البحث يتناول اهمية بصيرة ماركس النافذة في مهام تحرير الإنسان، فمن المناسب البدء بالبيانات الفلسفية الأكثر اتساعا في تداولها في القرن العشرين، إنها تبدأ هكذا :

إن الجدلية المادية هي مظهر الحزب الماركسي اللينيني. وسميت الجدلية المادية ، لأنها هي جدلية من جهة طريقة اقترابها من ظاهرة الطبيعة، وطريقتها في فهمها، في حين ان تفسيرها مادي لظواهر الطبيعة، وتصورها لهذه الظواهر.

إن المذهب المادي التاريخي هو امتداد لمبادئ الجدلية المادية لدراسة الحياة الاجتماعية، وتطبيق لمبادئ الجدلية المادية على ظواهر حياة المجتمع، ثم دراسة المجتمع وتاريخه. هذه الوثيقة ظهرت في عام ١٩٣٩ بقلم ستالين. وفي نظري، إن اسلوبه، ووجهة نظره وعقيدته، ونتائج هذه المقولات، تناقض تماما كل ما نادى به ماركس. كثير من الناس - وبعضهم غاية في الذكاء - هلل له، ووصفه

جيورج فيلهلم فريدريش هيجل

بالمثالية والعبقرية. واهم ما يجب ان تعرفه هو ان ستالين(١٩٥٣-١٨٧٩) كان المسئول عن اغتيال وتعذيب ملايين البشر، وكثير منهم كان يعد نفسه ماركسيا. كانت وثيقة ستالين المسماة المادية التاريخية والجدلية، مقتبسة من مقولات واعمال إنجلز ولينين وماركس..لكن كان هناك خليج من الدماء يفصل الأنصار عن المؤلف، مما بنى حاجزا عاليا حال دون فهم اعمال ماركس، ليس فقط من مؤيدى ستالين، ولكن من الجميع. وثيقة ستالين الفلسفية الزائفة كانت

مستمدة من مخطوط اسمه تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى، وقد الفه وكتبه اعضاء اللجنة المركزية. ولمدة ثمانية عشر عاما، كانت هذه الوثيقة، المملوءة بالأكاذيب والتشهير، الركيزة الأساسية للأعمال الثقافية جميعها فى الاتحاد السوفيتى، وللنظريات كلها فى الحركة الشيوعية ككل.

وفى عام ١٩٥٦، وفى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى، وبعد موت ستالين بثلاثة اعوام، اعلن المؤتمر ان الوثيقة تحتوى على اخطاء تاريخية مغلوطة. فى بساطة شديدة، منعوا تداولها تماما.

ولكن هذا لم يك بالأمر السهل ، لأن صفحات عدة من هذه الوثيقة الستالينية، كانت القاعدة لكثير من الأحزاب الشيوعية فى كل مكان، وكانت المبرر لتصرفاتها. ولهذا، فإن كثيرا من الماركسيين اللينينيين لم يستطع التعامل مع هذا القرار، وانكر على موسكو تسلطها عليه لأول مرة فى حياته.

أما فى عام ١٩٣٩، عندما اراد ستالين إضافة اجزاء إلى وثيقته ، وهى الجزء المسمى" المحاضرة القصيرة" *Short Course*، كان همه كله هو مهاجمة أعدائه وتمجيد نفسه. وفى ذلك العام، كان رفاقه فى ثورة ١٩١٧، قد اهينوا فى محاكمات زائفة، واجبروا على الاعتراف بجرائم وهمية، وكثير منهم ارسل إلى المنفى حتى يموت هناك بلا رحمة. وبهذا، انتهى كل امل فى التفكير فى اى فكر حر.

وشعرت الزمرة الحاكمة حول ستالين، بأن عليها ان تسيطر على نواحى الحياة والمعرفة كلها. وهذه البيروقراطية السياسية سميت الحزب الشيوعى او حزب العمال "البروليتاريا"، وكان الزعماء الفعليون الأصليون للعمال قد أعدموا على يد البوليس السرى للفيلسوف ستالين.

واصبح اسم ماركس مرتبطا بنظرية هذا الحزب. وفى هذا الوقت العصيب، أصبح اصطلاح الاشتراكية، واصطلاح الشيوعية متوحدين مع الفزع. ولكن بالنسبة إلى من استطاع رؤية التزييف، فإن افكار ماركس اصبحت مشحونة بالأخطاء، التى لا

يمكن التخلص منها، في شبكة افتراضات بيروقراطية تشمل مصطلحات مثل دولة العمال، والحزب الثوري، والنظرية الأرثوذكسية.

إن اسم ماركس، الذي خصص نفسه لتحرير الجنس البشري من الاستغلال ولمحو قهر الدولة، أصبح يُسوغ امتيازات الطبقة البيروقراطية، وسلطة جهاز الدولة المتوحشة.

إن المادية الجدلية المسماة بالاسم المعروف" ديامات"، باللغة الروسية، عبرت عن الاحتياجات الأيديولوجية للبيرقراطية. وقد ألصق ستالين الجدلية والمادية التاريخية بمجموعة من التصورات الفلسفية الزائفة، التي أصبحت تشكل لكثير من الناس العقيدة الدينية. وقد أجبر الأطفال في المدرسة السوفيتية على ابتلاعها على أنها دين الدولة، كما كانت العقيدة الإجبارية لأعضاء الأحزاب الستالينية في العالم كله. والنظرية المسماة هنا باسم النظرية المادية تحل التفسير الميكانيكي للطبيعة - الموضوعية - محل الأفكار الذاتية، ومحل الإرادة، والإحساس. وترى فيها أمورًا ثانوية، يحددها العالم المادي. وفي هذه المخطوطة البيروقراطية، أصبح البشر مجرد دُمَى محكومة بعملية تاريخية لا شخصية. بالطبع، لم يتجانس أصحاب هذه النظرية جميعًا. فقد أدخل بعضهم ما سماه بالحزب الثوري، الذي يتزعمه قادة متحررون من تأثير القوى المادية. ووضع بعضهم الآخر ما سماه بالقوانين الجدلية، التي تشرح كيف أن هؤلاء القادة يغيرون قرارتهم طبقًا لرغباتهم، وكان البيروقراطيون ملاك التاريخ.

وفي خلال الحقبة الماضية، اشتعلت الحرب بين مجموعتين من الفلاسفة السوفيتيين ، فعلى جانب، وقف بعضهم يستندون بقوة إلى بعض مذكرات لينين التي اكتشفها زعيمهم ديبورين بعد موت لينين، فتصدى لهم الميكانيكيون، الذين خصصوا حياتهم للنظرية المادية. وادعى كل جانب أن مساره هو الصحيح، وأنه أكثر توافقًا مع المتطلبات الجارية لزعامة ستالين.

وفي يناير من عام ١٩٣١، تدخل ستالين بنفسه في اجتماع اللجنة

المركزية للحزب الشيوعي، وأصبح "ميتين" مسئولاً عن المسائل الفلسفية. كما شرح تماما ان كل تقدم لاحق للنظرية الماركسية اللينينية في اية دائرة، ومنها الفلسفة الماركسية، مقرون باسم الرفيق ستالين.

إن الميكانيكيين قد استبعدوا بوصفهم من اتباع بوخارين، الذى اصبح في طى النسيان. أما اتباع دوبرين فقد اكتشفوا بوصفهم اقلية مثالية.

وفى خلال سنوات قليلة، فإن كثيرا من هذه المجموعات انتهى واستبدل، وحلت محله مجموعات اخرى. وبينما كان هذا الاجتماع قائما عام ١٩٣١، تحشور جوعا ملايين من الفلاحين الروس، وشحنت بعربات الماشية أمة بأسرها إلى آلاف الأميال البعيدة.

دعنا الآن ننظر بأنفسنا - فى اختصار - كيف ربطت التعاليم الستالينية لعام ١٩٣٩- بإحكام - المادة الميكانيكية بما يسمى الجدل. وبعبارة أخرى ، ماذا تعنى كلمة" أولى" ؟ بل ماذا يعنى أن المادة تأتى فى المقدمة. أو تكون لها الأهمية الأولى ؟ هل معناها ان المادة هى التى تحدث تغييرات فى العقل ؟ لا احد يدرى. وباختصار، فإن هذا الغموض افضى إلى وجود سلطة غامضة.

كانت القوانين الجدلية للتطور ماخوذة من نظام ج.ف.ف. هيجل، الذى كان مثاليا إلى حد ما، والذى يعنى أنه يعكس صورة المادية المشار إليها آنفا. وهذه إشارة إلى قوانين إنجلز الثلاثة التى تتحكم فى الجدل. ولكن مشكلات عديدة حدثت للمؤمنين بهذه النظرية، عندما تكشف انه بعد قانون الانتقال من الكم إلى الكيف، وقانون صراع الأضداد، فإن ستالين نسى قانون إنجلز الثالث ، وهو نفى النفى.

وهذا الأسلوب غير الإنسانى فى التفكير، كان معدا ليطبق على تاريخ الإنسانية.

إن الأولية هى لوجود المجتمع، ولحياته المادية، وثانيا تاتى روحانياته. فالحياة المادية للمجتمع هى الحقيقة الموضوعية المستمدة من عزيمة الرجال، فى حين ان الحياة الروحية للمجتمع هى انعكاس لهذه الحقيقة

الموضوعية.

إن الحياة الاجتماعية، وتاريخ المجتمع يقطعان او يوقفان تكتل الأحداث، ويصبح تطور المجتمع وفقا لقوانين منظمة، ودراسة التاريخ تصبح علمنا. ولهذا، فإن العمل الأصلى لحزب العمال يجب أن يبنى على قوانين تطور المجتمع، وإن تاريخ العلوم، بالنسبة إلى قوانين تطور المجتمع، هو الحقيقة التاريخية، التى لها مصداقية الحقيقة الموضوعية.

ثم هناك القوى التى تحدد تكوين المجتمع.وهذه القوى المادية التاريخية، هى السبيل الضرورية لوجود الإنسان، وهى الطريق لإنتاج القيم المادية مثل المأكل والملبس والمسكن والوقود وادوات الإنتاج. وعلى هذا الأساس النظرى، اى الأساس النظرى (الصحيح) الوحيد، بالطبع يمكن الإقرار بأن هناك معلومة تاريخية، تؤكد وجود خمسة انماط إنتاج رئيسة، وهى المجتمعات التعاونية، العبودية، الإقطاع، الرأسمالية، والاشتراكية، إلا أن الأخيرة هى التى وصلت الآن.

إن أساس علاقات الإنتاج فى النظام الاشتراكى، قد تاسس فى الاتحاد السوفيتى، فى الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج. فلا يوجد بعد الآن مستغل او مستغلون. البضائع توزع حسب جودة العمل، وبعبارة اخرى "من لا يعمل لا يأكل". والعلاقة المتبادلة بين الناس فى عملية الإنتاج، مطبوعة بتعاون الرفاق، وبالتعاون الاشتراكى للعمال الذين حرروا من الاستغلال.

باسم الماركسية اللينينية، وبالاشتراك مع السلطة الفعلية للبوليس السرى وغرف التعذيب، تقرر البيروقراطية ما هو" الصحيح". هؤلاء الذين يملكون القرارات الجدلية، قرروا ما يصلح للعمال المتحررين من الاستغلال. ومن ثم، فهؤلاء يعيشون حياة بعيدة كل البعد عن الفقر الذى يعيشه مجمل عمال وفلاحى الاتحاد السوفيتى، وتحميهم مظلة امن ضخمة ليقتطعوا لأنفسهم الجزء الأكبر من الإنتاج. وكما قال تروتسكى، " لقد خانوا الثورة" :

لسوء الحظ انه لمن الضرورى أن نتذكر دائما هذا الكابوس ، حتى

نتمكن من إعادة فحص آراء ماركس، حتى بالنسبة إلى هؤلاء الذين حاربوا آلة الإعدام، التي كان وقودها هذه المادة، لم يستطيعوا الفرار من دون التأثر بها.

تروتسكي (١٨٧٩-١٩٤٠) ومؤيدوه، جاهدوا كثيرًا حتى يحصلوا على صورة مقبولة للآراء التي انبثقت من الثورة الروسية، ومن تكوين النخبة الشيوعية. وبكل ما لديهم من قوة، قد أدانوا الأكاذيب والفساد الستاليني (نسبة إلى جوزيف ستالين)، وبالأخص مقولة إن روسيا الستالينية كانت اشتراكية. ولكن لم تكن لديهم حجة لإقناع المجتمع المثقف، وكل ما استطاعوا عمله هو كشف أساليب الستالينية الملتوية، وكيف أنها تخالف تمامًا تعاليم وقوانين لينين والماركسية.

وطول عام ١٩٣٠، لم يعلن تروتسكي أي منهج فلسفي، ولكن حث أتباعه على إيجاد ذلك. ولكن، ومع قسوة ظروف المنفى، لقد حاول إتمام كتابة السيرة الذاتية للينين، ولكنه وجد نفسه مضطرًا إلى دراسة علم المنطق لهيجل. وعلى أحسن حال، لقد استطاع التروتسكيون الدفاع عن نظريته.

ومقالة تروتسكي العظيمة "الستالينية والبلشفية"، والتي كتبها عام ١٩٣٧، تبدأ هكذا: "إن الحقب الرجعية المشابهة لوقتنا هذا، من شأنها ليس فقط تفكيك وإضعاف الطبقة العاملة وعزل طلائعها، ولكنها أيضًا تضعف المستوى العقدي للحركة، وتشدها إلى الأزمان الغابرة. وفي هذه الأحوال، فإن مهمة الطلائع وقادتها هي ألا يتركوا أنفسهم ومؤيديهم للعودة إلى الوراء، بل يجب أن يسبحوا ضد التيار. وفي علاقة غير موفقة مع قوى تخدم مراكزهم، يجب -على الأقل تقدير - الاحتفاظ بمركزهم العقدي ؛ لأنهم هم الذين دفعوا الثمن الباهظ للماضي. والمجانين فقط هم الذين يعدون هذا تعصبًا عقديًا، لكنه في الواقع ما هو إلا تكوين موجة عارمة للتقدم إلى الأمام مع تيار التاريخ".

ولكن الدفاع عن آراء قائمة ومستقرة، مهما يكن بطوليًا، أثبت أنه غير مقنع، وغير كاف.

رفض تروتسكي- تماما- ما يتردد بأن الستالينية هي الاستمرارية الحتمية لأعمال لينين. وهذه الفكرة - التي هي سائدة الآن - في الواقع لا تفسر شيئا الآن ، لأن اية مقولة خاطئة لا يمكن تفسيرها بأخرى خاطئة. ومهما يكن، فالحقيقة هي انه عندما استطاع ستالين إثارة العقبة التاريخية أمام الشيوعية، فإنه أقام نقاط الضعف كلها في حزب لينين.

وما لم نتحرر - في دقة - هذا القصور كله، وهذه الأخطاء كلها، فمن المحال أن نجد طريقنا.

كارل كاوتسكي

الثورة الروسية والفلسفة

استولى السوفييتيون عام ١٩١٧ على الحكومة الإمبراطورية القيصرية، بقيادة المنظمة التي أعادت تسمية نفسها بالحزب السوفييتي. ولأول مرة تولى العمال من الرجال والنساء الصراع، وسيطروا على حياتهم من مستوى قبضتهم على سلطة الدولة. وهذه الحركة، على غير سابقة، والتي تضم الطبقة العاملة الصغيرة الروسية القديمة الخبرة، فتحت لنفسها طريقًا إلى خارج جحيم الحرب العالمية.

ونجاح هذه المحاولة كان الدافع إلى

سرعة انتشار الثورة فى المانيا، وفى غيرها من الدول الصناعية. وبمساعدة حركة الطبقة العاملة الأكثر تقدما، استطاع السوفيتيون تغيير التخلف الاقتصادى والثقافى لدولة الفلاحين التى دمرتها الحرب الإمبريالية. وكان الهدف من تأسيس الاشتراكية هو ايضا إمكان تحقيقها على مستوى اوروبى وعالمى. ومع خيبة الآمال، ثارت المشكلات الجمة. ولكن إصرار القيادة البلشوفية على مواجهتها، بقى من اعظم القصص فى القرن العشرين. مع إعجابى الشديد بنضالهم، فإننى التزم النظر - فى حرص بالغ -إلى تاثيرات ذلك فى الكيفية التي نرى بها انفسنا اليوم.

وعندما تمسكت الثورة بالوسائل المتاحة لبضعة اسابيع أو أشهر، فإن إخلاص وشجاعة العمال السوفيتيين وحلفائهم داخل وخارج الإمبراطورية القيصرية السابقة، اكدا الدعم لها. ولكن عندما امتدت الشهور إلى سنين وحقب طويلة، فإن المسالة ظهرت بشكل مختلف تماما.

وفى عام ١٩١٩، بدات الشيوعية الدولية" الحزب العالمى للثورة الاشتراكية" فى كسب ادعاءات احسن القطاعات العاملة فى العالم. وأصر الشيوعيون على أن الصراع العنيف واللا اخلاقى، مطلوب لتدمير القوى السياسية الراسمالية. وبذلك واجهوا مفهوم التحول السلمي النيابى، الذى تقدمه الطبقة الحاكمة، وهو الراى المتميز لأعدائهم قادة الاشتراكية الديمقراطية.

ولكن فى ذلك الوقت، تغيرت دكتاتورية البروليتاريا إلى شىء جديد تماما. وقد قصد ماركس بهذه العبارة ان مهام الدولة تؤول إلى ايدى افراد الطبقة العاملة جميعهم، تمهيدا لإذابتهم فى مجتمع حر. ولما كان ذلك الأمر لا يقبل الجدل فى روسيا المتخلفة، فقد اخترع الشيوعيون ما أسموه دولة العمال. وهو اصطلاح لم يستخدمه ماركس، ولا اى من اتباعه، لوصف الآلة البيروقراطية التى احكمت مجساتها الإمساك بقلب الثورة. ويمكننى القول إن هذه العبارة

ظهرت، أول ما ظهرت، عندما بدا الشيوعيون مناقشة النشوء البيروقراطى للدولة السوفيتية. ومن دون مثل هذا الجهاز، فإن استمرار الثورة كان مستحيلاً.

ما الوسيلة الأخرى التى يمكن ان توفر إرادة الحرب الأهلية ضد الأعداء الذين لديهم الدعم الكبير من اكثر الدول الإمبريالية قوة ؟ نعم، ومع هذا الجهاز، من الذى ساد ؟

إننى سأناقش ما يوجد خلف فكر البلشفية، حيث تقف عقائد الدولة والحزب، التى حالت دون فهم ما

لينين

يحدث، وهذا يمكن رؤيته مثلا فى تلك المقتطفات من الكتاب الذى لقى انتشاراً واسعا فى الأيام البطولية للثورة والحرب الأهلية.

وفى أيدى الحزب تركزت السيطرة العامة، وكانت له الكلمة النهائية فى المسائل الأساسية. فالكلمة الأخيرة هى اللجنة المركزية. واكثر من مرة، كنا نتهم بالخضوع للدكتاتورية السوفيتية ودكتاتورية الحزب. ويمكن القول - بمنتهى العدل - إن الدكتاتورية السوفيتية تحققت بواسطة دكتاتورية الحزب.

نحن نعارض عبودية الراسمالية بالعمل المنظم اجتماعيا... والأجور يجب وضعها، فى اكثر تلاحم ممكن، مع إنتاجية العمل الفردى. فى ظل الراسمالية نجد نظام العمل بالقطعة والتدرج. إلا ان تطبيق نظام تايلور وغيره، يهدف إلى زيادة استغلال العمال واعتصار فائض القيمة. وفى ظل الإنتاج الاشتراكى، كانت هناك الإنتاج بالقطعة، والعلاوات، وغير ذلك من الأمور، كما كانت هناك مشكلة زيادة حجم الناتج الاجتماعى، ومن ثم

زيادة الرفاهية عامة. وهؤلاء العمال، الذين يبذلون الجهد للمصلحة العامة، يكون لهم الحق فى كم اكبر من الناتج الاجتماعى مما للكسالى والمهملين وعديمى التنظيم.

وكما ان المصباح قبل ان يذوى نوره تعلو شعلته، فهكذا الدولة، قبل اختفائها تفرض شكل دكتاتورية البروليتاريا، وهو الشكل الأكثر لا اخلاقية للدولة، الذى يحيط من الاتجاهات كلها بحياة المواطنين، من طريق السلطة.

وقد كتب تروتسكى هذه السطور سنة ١٩٢٠، فى القطار المسلح الذى أدار من داخله انتصارات الجيش الأحمر على جيوش الإمبريالية. إن ملزمة" الإرهاب والشيوعية"، التى اقتبست منها بلا حق، لأن كاتبها كانت لديه اشياء اخرى لقولها، كانت تمثل الفكر للتجمعات السكانية فى ذلك الوقت. وكل وفد من وفود المؤتمر الثانى العالمى اعطيت له نسخة منها، مع" الجناح اليسارى للشيوعية" للينين. وبكل تاكيد، إن هذا لا يمثل اتجاهات تروتسكى بعد عام ١٩٢٢، وإنى آسف ان اقول إن تروتسكي، عندما أعاد نشر هذا بالإنجليزية عام ١٩٣٥، وبالفرنسية عام ١٩٣٦، لم يعط لقرائه تحذيرا أيديولوجيا مفيدا للصحة. وبحلول عام ١٩٢٠، فإن العزلة الدولية للثورة، بدات تضفى تاثيرها المنذر بكارثة على الحركة الشيوعية. لينين وتروتسكى، وآخرون من القادة العالميين، توصلوا إلى إطار نظرى، يمكن من خلاله معالجة الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة التى تواجه الدولة السوفيتية. ولكن - كما سابين، وكما فهمها هؤلاء القادة - كونوا حائطا وحائلا يبعدهم عن ماركس نفسه.

وفى كتاباته الأخيرة، دخل لينين فى معركة تزايد قوى بيروقراطية الدولة السوفيتية، التى اكتسبت ارضا من خلال الحزب الشيوعى نفسه والدولية، وألحت عليه مشكلة " جذب الجماهير إلى إدارة الدولة". ولكن من الذى يتولى عملية جذبها ؟ وماذا حدث لفكرة التحرير الذاتى للطبقة العاملة، ولفكرة موت الدولة، وهى التى اعاد لينين اكتشافها بنفسه عام

٩١٩١٧ إن لينين لم يحاول أن يخفي الآثار التي نجمت عن الحرب الأهلية، وقد أشار أكثر من مرة إلى محو الطبقية من الطبقة العمالية الروسية الصغيرة في مسار الحرب الأهلية وآثارها، وأظهر المخاطر التي تتضمنها على مستقبل الحزب. وفي عام ١٩١٩، ثلاثت منظمات حركة الجماهرية الديمقراطية، التي ظهرت في عام ١٩١٧، فيما عدا اسمها. إن آلاف العمال الذين كانوا في ثورة ١٩١٧، هلكوا في مسار الحرب الأهلية، وإن دكتاتورية البروليتاريا تحولت إلى نوع من القوة الروحية، يوجهها الحزب وقياداته بعيدا عن إرادة أو معرفة الناس، الذين يجاهدون في الواقع لكي يستطيعوا العيش في تلك الأيام العصيبة. وقد استكمل ستالين المهمة في تدمير ذلك الجيل، واستبدل آلة البيروقراطية بالحزب البيروقراطي.

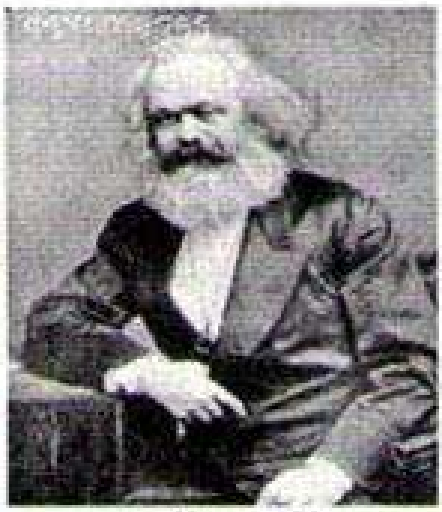

كارل ماركس

تاليه لينين

مع أن هذه الفكرة غير مستحبة في بعض الدوائر في هذه الأيام، إلا أنني مازلت اعتقد أن لينين هو أهم الشخصيات في القرن العشرين.. لقد كان في حياته وتفكيره يركز دائما على كفاح الملايين لنيل حريتها. وهكذا، فإنني أقترب من مهمة إعادة فحص أعمال النظرية في حذر. كل شيء كتبه له أهميته الكبرى، ولكن إذا قوبلت كسلطة دينية مقدسة - وهو ما كان سيرفض تماما أية محاولة لعدها كذلك - فإنه سيكون من المستحيل أن نجد طريقا من خلال الالتباس الذي يحيط بأفكار ماركس.

إن تقنين ستالين للينين كان ضروريا لهدم منهاج ماركس، وإن ما يحدث الآن لنظرية ماركس في المسار التاريخي، تكرر حدوثه لنظريات المفكرين الثوريين وقادة الطبقات المقهورة

المناضلة. وفى حياة الثوريين، قامت الطبقات المقهورة بمطاردتها باستمرار، وتلقت نظرياتهم بحقد وحشى، وبكراهية بغيضة، وبمحاولات الكذب والإهانات، وبعد مماتهم يعملون على جعلها أيقونات مسالمة. ولحظة أن وُضع جسد لينين المحنط فى ضريحه، فإن كتاباته ومقالاته المحنطة أيضا تم تسخيرها لخدمة الطبقة الحاكمة. وعلى العكس من اية عقائد بلشفية او افكار ماركسية، أصبح من المحال مناقشة اى نص للينين متفق عليه.

ومن اسوأ التقاليد للتعصب الأعمى الدينى ، أن بعض كتابات لينين تم إخفاؤها. وعلى الأخص خطابه إلى المؤتمر عام ١٩٢٢، المعروف بوصية لينين، وملحقها الذى يدعو إلى إزاحة ستالين. أما عن أعماله التى طبعت بمعرفة الملايين، وبروحها الثورية، فقد طُحنت تحت ثقل التعليقات الزائفة، والحواشى الكاذبة.

بوخارين والثورة الميكانيكية

حتى عام ١٩٢٤، كان نيكولاى بوخارين (١٨٨٨-١٩٣٨) هو الجناح الأيسر لحزب لينين، وكان منتقدا لسياساته. وكان الأكثر شعبية بين قادة الحزب، وهو الذى أصر على التنفيذ الفورى للأساليب التى ناقشها لينين عقديا فى وثيقته"الدولة والثورة"، والتى كتبها فى الأيام العصيبة من عام ١٩١٧. وكان بوخارين ايضا من القادة البلاشفة القلائل الذين أولوا عناية خاصة للفلسفة وأمورها.

وفى عام ١٩١٩، وبمساعدة شاب اقتصادى يدعى إ.إ. بريوبريزهنسكى *Preobraz Hensky* (١٨٨٨-١٩٣٧)، كتب تعليقا على البرنامج الجديد للحزب. وتحت عنوان" الفباء الشيوعية"، احرز هذا الكتاب نجاحا عارما فى الأقطار الشيوعية. الآراء المثالية كلها قدمها بوخارين بكل رشاقة ووضوح، ولكن قراءته الآن تصيب القارئ بقشعريرة، على ضوء ما حدث خلال السبعين عاما المنصرمة للتجربة الشيوعية.

وفيما يلى، أعرض لكل ما اعتقده بوخارين ممثلاً لنظرية ماركس. لقد اختبر ماركس الشر، والظلم، والنظام

الاجتماعي الوحشي الذي كان يسود العالم آنذاك، ودرس جيدا تكوينه، تماما كما ندرس كيفية استعمال آلة. مثلا ساعة. هكذا درس ماركس النظام الرأسمالي العالمي، الذي يحكم الإقطاعيين وأصحاب المصانع، في حين أن العمال والفلاحين مضطهدون. دعنا نفترض أن عجلتين من عجلات الساعة قد وضعتا بطريقة خاطئة، حيث إنهما تتداخلان عند الدوران، فمن البدهي أن الساعة ستنكسر وتتوقف قريبا. لهذا، فإن ماركس رأى - في وضوح - أن الرأسمالية تحفر قبرها بيدها ؛ فإن الآلة ستتوقف ؛ وهذا ما سوف يهدد بثورة العمال، الذين سوف يعيدون تصميم العالم وفقا لمتطلباتهم وميولهم.

متن

وعدّ بوخارين هذه الطريقة في النظر إلى العالم طريقة علمية الشيوعية، وهو متأكد جدا من أنها النظام الأمثل الذي تتوافق فيه الأجزاء الميكانيكية كلها، وتعمل بانتظام، وهي أجزاء المجتمع المنظمة تنظيما صارما.

بوخارين يقول بدكتاتورية البروليتاريا، التي هي الطريق الوحيدة للانتقال إلى طبقات المجتمع، ويشرح أن تلك الدكتاتورية العمالية توضح الأسلوب الصارم للحكومة، وكيفية سحق الأعداء. ويتبع قوله بأن الدستور الجديد جاء ليؤكد أن هذه الدكتاتورية هي لفترة انتقالية فقط.

وفي عام ١٩٢٠، انتهى بوخارين من نظرياته العادلة وتفسيراتها، في كتابه"المادية التاريخية"، الذي بقي لمدة عشرة أعوام تحت الطبع. وفيه يشرح الفرق بين علوم البروليتاريا وعلوم البرجوازيين. وبالنسبة إليه، فإنك ترى العالم إما بنظارات حمراء، وإما بأخرى بيضاء. إن أسلوبه ونظامه، بالنسبة إلى علم الاجتماع الماركسي، يجريان فقط على خطوط ميكانيكية. وهكذا فقط هو يفهم العلوم.

السبب والتأثير هما مقولاته الرئيسة. تصارع قوى الأضداد نتيجة أمنيات عدة، ينتج منه التعادل. الحقيقة تدور في دائرة ينتج كل اهتزاز فيها دورة جديدة. معنى المادية التاريخية بالنسبة إلى بوخارين، هو تصميم اجتماعي، في حين أن المجتمع هو نظام تفاعلي بين عدة عوامل. وفي نهاية المجتمع عام ١٩٢٠، انفجر جدل في الحزب البلشفي حول دور الاتحاد النجاري في الاقتصاد الروسي، وهذا يظهر كيف أن البلاشفة أنفسهم صعب عليهم فهم دولتهم. اقترح كل من تروتسكي وبوخارين أن تذوب هذه الاتحادات في اقتصاد صناعي مخطط. والحجة كانت بسيطة، بقولهم، لو كانت هذه الاتحادات تعمل تحت رئاسة دولة عمالية، فممن تريد حماية نفسها؟

في أثناء حديث لينين، قاطعه بوخارين، ورفض تصنيف الدولة الروسية على أنها دولة العمال والفلاحين، لكن لينين - فيما بعد - رد عليه بمقال في صحيفة البراڤدا. كتب لينين "لقد كنت مخطئا، والرفيق بوخارين كان على صواب. كان يجب عليّ أن أقول إن دولة العمال هي فكرة تجريدية. وما لدينا في الواقع هو دولة عمال بهذا التميز، أولاً، لأنه ليس العمال بلا الفلاحين هم الأكثرية في الدولة. وثانيا، تلك هي دولة عمال مع بيروقراطية مشوهة".

كثيرا ما ترددت هذه المقولات، لكنني أعتقد أنه يجب إعادة دراستها وفحصها في دقة. وبالطبع، هنا نرى مرونة فكر لينين، ورفضه لاجتناب معظم الصعوبات التي تواجه وجهات نظره. ولكن انظر هنا كيف يصف العلاقة بين الدولة السوفيتية والطبقة العاملة، إن قادة الحزب الشيوعي يعدون الدولة السوفيتية دولتهم. لكن هذا كله احتواه لينين في تركيبته الفكرية عندما قال "دولتنا هي ليست دولة عمال كما قال تروتسكي، بل هي دولة عمال، مع بيروقراطية مشوهة". وبعد هذا الجدل، أصبح تروتسكي قائدا للصراع الذي بدأه لينين ضد البيروقراطيين في الدولة وفي الحزب، في حين اختنق

البيروقراطيون بفلول ثورة اكتوبر. وبالفعل، دمجوا الاتحادات التجارية فى الدولة، لكن تروتسكي استمر فى محاربتهم، إلا أن عملاء ستالين قتلوه. تولى بوخارين بعده زعامة اليمين، شارحا كيف أن افكاره الميكانيكية هى المناسبة لهذا الدور. لكن بعد موت لينين، أصبح حليف ستالين الذى مهد له المساعدة للقضاء على المعارضة اليسارية. وبعد أن استغله ستالين، قتله أولاً سياسيا، ثم جسديا.

نقاش فلسفى

فى عام ١٩٢٣، نشر الشيوعى المجرى جورج لوكاتش (١٨٨٥-١٩٧١) كتابه المسمى "التاريخ والوعى الطبقى"، وكان هدف هذا الكتاب هو التعرض للماركسية بمفهومها قبل عام ١٩١٧، وهاجم آراء بوخارين. كذلك عارض "المادية" التى تبناها لينين فى السابق، مع انه لم يقلها صراحة. وشدد على مصادر اعمال ماركس، خصوصا "راس المال" فى فلسفة هيجل، كذلك هاجم- بشدة - معتقدات إنجلز. وفى الزمن نفسه، برز شيوعى المانى مرموق، وهو كارل كورس (١٨٨٩-١٩٦١)، ونشر كتابه

إسحق نيوتن

"الشيوعية والفلسفة" بالفكر وبالتوافق نفسيهما تقريبا.

انفجر جدل عنيف حول مثاليات لوكاتش وكورنش. وفى المؤتمر الدولى الخامس سنة ١٩٢٤، فإن زينوفييف (١٨٨٣-١٩٣٦) رئيس هذا المؤتمر والمتحالف مع ستالين ضد تروتسكى، تكلم عن النضال ضد المتشددين اليساريين ومراجعى المناهج، وهاجم - فى شدة - هؤلاء الكتاب وكل من يعاضدهم، حتى إنه وصفهم بانهم لا يصلحون اساتذة، كما قال إنه لو ظهر عدة افراد مثل هؤلاء المتطرفين حول مبادئ الماركسية سوف نضيع. ليس بإمكاننا نبش مبادئنا، ولا يمكننا ان نبحث فى كل قطعة قمامة ونناقشها.

إن أفكار كورش Korsch ولوكاتش Lukacs بدلاً من مناقشتها علميا وايديولوجيا، كان الرد عليها ببيروقراطية وقحة. ومن غير المعقول، بل من المشكوك فيه، ان زينوفييف Zinoviev كلف نفسه حتى النظر إلى تلك الكتب التى رفضها. اما موقف المؤلفين فقد كان مثيرا للدهشة. فإن لوكاتش عبر عن ردته بعدة مقالات، منها" لينين ، دراسة فى وحدة افكاره" (١٩٢٤)، وهذه فتحت الطريق إلى ظهور فئة متعصبة سموا انفسهم "اللينينيين"، او - بالأدق-" الستالينيين".

وهى - حقا - الاسم الحركى للستالينية. وقد استمر كورش فى الدفاع عن وجهه نظره، واستمر هجومه على التروتسكية واللوكسمبورجية (نسبة إلى الثائرة البولندية روزا لوكسمبرج) لمصلحة اللينينية.

وفى عام ١٩٢٦، طور هجوم الجناح اليسارى على ستالين، ولكنه طُرد من الحزب الشيوعي الألمانى والحزب العالمى بعدها تجدد الجدل حول نظرية لينين ولكن بطريقة هادئة، ومن زاوية مختلفة. وفى عهد ستالين، وضع النظام فى قالب يحذر الاقتراب منه، وبذلك يتعذر السؤال عن اقوال او افعال القيادة.

وفى عام ١٩٣٠، وفى مدرسة فرانكفورت، التى تضم ماركوزا Mar-cuse، وادورنو Adorno، وهوركهايمر Horkheimer، وآخرين، حاولوا تطوير فكر لوكاتش. ولكن بصعود النازية فى

المانيا، فإنهم فقدوا الأمل فى إمكانية التحول الاشتراكى. أما الماركسية فقد عدّوها، كما عدّها من جاء من بعدهم، مجرد اجتهاد اكاديمى من أجل الحفاظ على تراث التنوير.

اورويل

تروتسكى Trotsky ولينين Lenin

اجبرت الظروف الصعبة التى كان يحارب فيها تروتسكى مضطرا منذ عام ١٩٢٣ فصاعدا، تروتسكى على اتخاذ قرارات تكتيكية صعبة، منها أن يخفف خلافاته مع لينين، ليس فقط عندما علم أن تنفيذ آراء لينين امر خطا، ولكن ايضا عندما تأكد أن لينين نفسه كان مخطئا. وبالطبع كانت هذه من أسباب التشهير به آنذاك، ولكنها الآن لا تغتفر !

ومنها ملحوظة نقلها عنه فرتز شتيرنبرج Fritz Sternberg، الذى بدوره كانت له خلافات مع لينين، يقول شتيرنبرج :

" ذات يوم، كنا نناقش المشكلات الروسية، فقال تروتسكى :" ستالين والستالينيون، دائما ما يريدون دمغى بأنى من أعداء اللينينية، وهذا تشهير قذر. بالطبع إن لى خلافات مع لينين قبل وبعد الثورة، وكذلك فى أثناء اتفاقات حرب التحرير ظهرت هذه الخلافات واضحة بيننا". ولكن

تروتسكى كان حريصا جدا على الا يعطى خصومه سلاحا جديدا لمحاربته به، وعلى تاكيد خصومته مع لينين، خاصة آراء لينين بالنسبة إلى العمال والأرستقراطية. وقال - فى وضوح- إنه لا يريد الهجوم على لينين لأسباب تكتيكية.

لكن اليوم لا يوجد هذا الخيار، ويجب أن ننظر - فى دقة- فى نظرية لينين حول الحزب الثورى، وعلاقته بالطبقة التى تقوده، وطبيعة الدولة وشكلها، والنظام الذى انبثق من الانتصار. وفوق هذا، يجب أن ندقق فى شكل هذا الحزب، وفى أصله، وفى مصداقيته وصلاحيته.

الماركسية فى حقبة الأممية الثانية ، كاوتسكى والماركسية التحريفية .

فى عام ١٨٨٩، وفى محاولة لإعادة بناء اتحاد عمالى دولى، أو منظمات عمالية عالمية، اخفق تنظيم باريس قبل أن يأتى بثماره. وكان هذا بعد وفاة كارل ماركس بست سنوات، وبسبعة عشر عاما بعد اجتماع الجمعية العمالية العالمية.

وفى هذا الوقت، ضمت الحركة الاشتراكية عدة منظمات، أبرزها كان"الحزب الاشتراكى الديمقراطى الألمانى SPD"، وبالطبع كان إنجلز هو الشخصية المرموقة فى الحزب الألمانى. ومنذ عام (١٨٩٥-١٩١٤). وبعد موت إنجلز، كان قادة الـ" الحزب الاشتراكى الديمقراطى الألمانى" يتولون توجيه الأحزاب العالمية.

وهكذا، أصبح كارل كاوتسكى (١٨٩٥-١٩٣٨) الموجه لما أصبح عليه الحزب، وفيما عرف بعد ذلك "بالماركسية الأرثوذكسية". وكاوتسكى اكد بشدة على ميزة الأورثوذكسية العلمية. اى إن الحركة الاشتراكية مضمونة بفعل" قوانين التاريخ". ماثلت" قوانين التاريخ" قوانين الطبيعة التى تعمل منفردة، ولكن بغض النظر عن إرادة الإنسان ووعيه. تطبق هذه القوانين على مستوى الكون، وتستعمل الوجود الإنسانى كادوات لها. وسمى هذا المنهج أو النظرية بما عرف"بالمادية التاريخية"، أو" المفهوم المادى للتاريخ". لقد اعتقد كاوتسكى،

وكان في ذلك الحين بالفعل قد قسم كتاب" رأس المال" إلى مجموعة من القوانين الاقتصادية غير المترابطة تماما بفكرة الشيوعية. لقد اعتقد ان هذه القوانين توضح وتشرح كيفية توسع الاقتصاد، والراسمالية وإنتاجها من خلال تطوير التكنولوجيا وتمركز البروليتاريا. كان واجب الحزب، مسلحا بالنظريات العلمية الماركسية، ان يوصل هذه الحقيقة إلى الجماهير، وعلى المثقفين الاشتراكيين تعليم العمال هذه التعاليم"الاشتراكية العلمية".

وبالنسبة إلى كاوتسكي وامثاله، الذين اكتسبوا مراكزهم من جراء هذه النظرية العلمية، لم يكن من الممكن لسواهم الوصول إلى ما وصلوا إليه. وكان اعتقادهم السائد - من دون شك - ان العمال المنظمين تحت لوائه وقيادته، حتما سوف يصبحون قوة كافية منظمة تعمل على اختفاء الراسمالية. وهذا كان طريق كاوتسكي

روزا لوكسمبرج

إلى السلطة. كان يدعو إلى ان الثورة الاشتراكية طريق طويلة يتخللها عدة ثورات سياسية. والاشتراكية تعني - اساسا - ان الصناعة تكون تحت سلطة النظام، وهذا النظام، كما راه كاوتسكي، شكل متطور ومتقدم للبرلمان.

وهكذا تزايدت سلطة الحزب الاشتراكي الديمقراطي *SPD*، وصمدت تماما في وجه قوانين بسمارك، التي تعارض الاشتراكية، واصبحت قوه انتخابية مؤثرة. ثم ظهرت عدة اتجاهات واصوات بين

القادة، منهم إدوارد برنشتاين (١٨٥٠-١٩٣٢). وفي اثناء منفاه في لندن، أصبح ميالاً إلى آراء فابيان التي تنادي بالتدريجية "Gradualism"، وجنبا إلى جنب مع اتباع، إنجلز، بدءوا في مناقشة أسس نظرية كاوتسكي الأرثوذوكسية".

وفي عام ١٨٩٧، أعلن برنشتاين أن نظرية كاوتسكي اصبحت بالية ولاتناسب العصر، وأن التحرك نحو الاشتراكية سيكون افضل بالتخلي عن الماركسية الهيجلزية لمصلحة العودة إلى عمانوئيل كانط Kant. وكان هذا الفكر هو السائد في الأوساط الثقافية الألمانية في ذلك الوقت. ولتقبل السياسة الاشتراكية في المانيا، يكون من الضرورة جمع حلفاء من النخبة الليبرالية في الإمبراطورية.

كان لدى كاوتسكي مهمة محاربة أعداء" الأرثوذوكسية". وفي لباقة وأدب، وبعد تردد، فقد اكد ان ماركس قد قرر أن تطور الرأسمالية سيقود إلى الاشتراكية. ولكن برنشتاين كان فقط ينصت إلى كثير من برلماني الاشتراكية الديمقراطية، وسماسرة الاتحادات التجارية، والذين سرا اقتنعوا بأن كل همهم هو الاحتفاظ بمراكزهم.

بدأت روزا لوكسمبرج Rosa Luxemburg (١٨٧١-١٩١٩) تتكلم مع مجموعة من شباب اليسار، وكانت حجتها ضد برنشتاين اقوى من كاوتسكي، حيث اظهرت - في براعة- ان المراجعة أو التحريفية *Revisionsim* ليست إلا فرصة للطبقة البرجوازية لتكييف أوضاعها. ولكن لم تكن لديها اسس فلسفية لمناقشاتها، ولكنها اكدت منهج كاوتسكي ونظريته، حيث قالت إن كتاب" راس المال" لماركس، كان عن البناء الاقتصادي للراسمالية.

في قلب الإمبراطورية القيصرية، بدأت حركة عمالية سرية بداها جورج بلخانوف من منفاه في سويسرا، حيث جمع حوله مجموعة من المثقفين، الذين جاهدوا لتكوين منظمة اشتراكية مبنية على اسس الماركسية. ولينين، مع اختلافه مع بعض هذه المنظمات، بنى نظريته على نظريات بليخانوف وكوتسكي.

بليخانوف نفسه أصبح القائد المدافع عن الأرثوذوكسية في العالمين الغربي والشرقي. ومع نفاد صبره، كان بليخانوف يضغط كوتسكي ليوجه هجومه على الأسس الفلسفية للتحريفية *Revionism* لبرنشتاين. كوتسكي لم يستطع الاقتراب من قلب الهجوم على برنشتاين. وفي خطاب لبليخانوف في عام ١٨٩٨-القائد النظري للدولية - اعلن "إنني لم اكن قط ضليعا في الفلسفة، ومع أنني أتفهم تماما وجهة النظر للجدلية المادية، ما زالت وجهة النظر الاقتصادية والتاريخية لماركس وإنجلز في منتجعها الأخير، منافسة للنزعة المنحدرة من عمانوئيل كانط".

ستالين

بالنسبة إلى بليخانوف، فإن المادية الماركسية حاسمة، وسوف نرى لاحقا الفجوة الواسعة التي تفصل بين أورثوذوكسية بلخانوف وآراء ماركس الحقيقية.

الفلسفة والبلشفية

منذ بداية الجدل في الدولية، أيد لينين ورفاقه مؤيدوه كاوتسكي. صحيح أن المنظمات غير الشرعية للثوار الروس كانت تشارك - مشاركة ضئيلة - الهيئات الرسمية للاشتراكية الديمقراطية في البلدان الأكثر تقدما. ولكن في عملها النظري، لم تبتعد كثيرا عن

القيادة الأرثوذوكسية.

ومن بين الماركسيين الروسيين الذين حاولوا تكوين حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي - غير القانوني - "*RSDLP*"، كان لينين حريصا على محاربة النزعة الاقتصادية، التي كانت تعلي من شأن فكرة الصراع الاقتصادي في النقابات المهنية.

وقد طوق لينين هذه الجماعات، التي سيطرت على الحركة الماركسية غير الشرعية، وحاطها بما عرف "بالثوريين المتخصصين"، الذين كان بإمكانهم تنظيم صفوف شباب العمال لعزل القيصرية.

وكما كان دائما، فإن لينين ربط نفسه بأكثر المواقف النظرية تطرفا، وهذا بدا جليا في كتابه" ما العمل ؟"، الذي صدر عام ١٩٠٢. لقد أخذ لينين افكار توتسكي إلى بعد اعمق ، وذلك بتطبيقها. لقد اكد معلنا أن نظرية الماركسية لا يمكن ان تنطلق تلقائيا في الطبقة العاملة، لكن يجب توصيلها إليها وإلى الحركة العمالية، بواسطة الليبراليين المثقفين من الخارج.

لقد تاكد تاريخيا في البلاد جميعها أن الطبقة العاملة تستطيع فقط ان تكسب تنازلات من الاتحادات التجارية، بمعنى أنه بقوة ترابط الحركة العمالية يمكنها محاربة أصحاب العمل، بل بإمكانهم إرغام الحكومة على الاستجابة لبعض التشريعات العمالية... إلخ.

إن النظرية الاشتراكية انتعشت ونمت من خلال النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية، وتطورت بواسطة المثقفين والمتعلمين. لهذا، فإن ماركس وإنجلز - وهما مؤسسا الاشتراكية الحديثة - كانا ينتميان إلى الطبقة البرجوازية المتميزة ثقافيا.

وكان واجب الديمقراطية الاشتراكية هو دحض التلقائية، وتحويل حركة الطبقة العاملة عن هذه التلقائية. والاتحادات التجارية توضع تحت جناح البرجوازيين، وذلك لجرها ووضعها - من ثم - تحت لواء الثورة الاشتراكية الديمقراطية.

لم يستدل - البتة - على مثل هذه الأفكار في كتابات ماركس وإنجلز. وطول حياتيهما، حاربا - في شدة -

بناء وتكوين جماعات من شأنها ان تظهر للعالم ما يجب ان تكون عليه الحال. لقد اعلنا ان الشيوعية كانت "حركة الغالبية العظمى ولمصلحة هذه الأغلبية". والطبقة العاملة فقط هي التي بإمكانها تحقيق "التحرير"، في حين يمكن لفئات المجتمع جميعها معاونتها ومؤازرتها، لكن لا يمكن لأحد ان يتولى ذلك عنها.

الفجوة بين ماركس والماركسيين لا يمكن ردمها. عندما صاغ بليخانوف جدول الحزب، استعمل صيغة ماركس التي تقول بـ" دكتاتورية البروليتاريا" ، ولكن الماركسيين فسروا هذه المقولة بطريقة مختلفة عما كان يقصده ماركس.

لقد تبنى ماركس وإنجلز هذا التعبير ، حتى يميزا نفسيهما عن أتباع الثائر الفرنسي أوجست بلانكي (١٨٨١-١٨٠٩)، الذي افنى حياته في محاولة حياكة مؤمرات لثورة دكتاتورية يتولاها بعض الجواسس المتميزين، ثم يوصلونها إلى الطبقة العاملة.

وفي رفض قاطع لهذا، اوضح ماركس وإنجلز ان الثورة الشيوعية لن تنجح إلا من خلال الطبقات العمالية جميعها، والتي كانت الأغلبية في معظم البلاد المتقدمة. والسلطة التي كانت تستغل العمال لمصلحة اصحاب العمل، يجب تدميرها، ويجب ان يستبدل بهذه السلطة، الطبقة العمالية الجديدة، ولكن بهيئة يمكنها - على الفور - ان تذوب في المجتمع، وهذا ما قصده ماركس "بدكتاتورية البروليتاريا".

ولكن الثوار الروسيين، والخلفية التقليدية المرعبة خلفهم وفي ذاكرتهم، كانوا يعملون سرا لتكوين بروليتاريا في الريف. وهكذا اصبحت "الدكتاتورية"، بالنسبة إلى الديمقراطيين الاشتراكيين الروسيين، تعني السلطة او الدولة، التي كانت اجهزتها وادواتها قوانين غير ملزمة. وفي عامي (١٩٠٢-١٩٠٣)، بدات مناقشة تطبيق هذه المفاهيم. أقيم المؤتمر الثاني لحزب المنشفيك عام ١٩٠٣، بعد ان اصدرت هيئة تحرير صحفية" الشرارة"، التي ضمت بين اعضائها بليخانوف، ويوليوس مارتوف (١٨٧٣-١٩٢٣)، تروتسكي، كتاب

لينين ببضعة اشهر. وقد كانت صياغات لينين فى كتابه" ما العمل ؟" صياغات متحدية. ولقد صرح لينين مهاجما إياهم، بالحرف الواحد :

" من الواضح انه فى اثناء الصراع مع النزعة" الاقتصادية". نشا الالتباس حول العرض المبدئى للسؤال النظرى الرئيس حول تكوين الأيديولوچيا. وكما نعلم، فإن الاقتصاديين قد احنوا العصا فى اتجاه محدد، مما اجبر الآخرين على جذبها إلى الاتجاه الآخر، وهكذا انا فعلت".

ولكن فى نهاية عام ١٩٢٠، لم يعد من المسموح به المساس بصورة لينين المثالية، حتى ولو للدفاع عنه. وهذه الصيغ العديدة فى هذا الكتاب تحديدا، اصبحت هى الأسس التى بنيت عليها النظريات الأساسية.

لم يقبله تروتسكى قط. ولكن نظرا لقوة ستالين وجبروته بعد ١٩١٧، لم ينشر تروتسكى ايا من هذه النظريات إبان حياته. وتقويم تروتسكى عن كتاب لينين" ما العمل ؟" ، الذى ظهر فى السيرة الذاتية لستالين (التى لم تتم)، بدلاً من ان يكون إيضاحا لطبيعة تنظيمات الثورة، كان مادة إحراج لتروتسكي، حتى إن بعض التروتسكيين عدّ كتاب لينين هذا خرافة وصنما، بالنسبة إلى توجهاته نحو النظرية والتنظيمات.

وبين إيدى الستاليينيين، أصبحت المركزية فى حماية النظام الثورى، هي قمع كل نقد، او حتى جدال من اى نوع. وهذا الأسلوب للحزب أصبح صنم الأصنام، وبعيدا عن مفاهيم لينين بان الطبقة العمالية يجب أن "تكون نفسها، وتصبح حزبا".

وحادثة اخرى حدثت فى ذلك المؤتمر نفسه عام ١٩٠٣، وهى تمثل نقطة تحول ، وهى المطالبة بان يتضمن النقاش موضوع الاقتراع عالميا على اجندة الحزب، وقد تقدم بهذه المطالبة عضو يدعى بوسادوفسكى، وقال :" هل يجب أن توظف المبادئ الديمقراطة لمصلحة الحزب" ؟ ونتيجة التصفيق الحاد، أجاب عن السؤال بنفسه بالإيجاب، وسانده بشدة فى ذلك بليخانوف، الذى قال بدوره:" لو ان الانتخابات اسفرت عن نتائج سيئة، فلا يجب تغييرها بعد سنتين، بل لو

امكن بعد اسبوعين". ودوى تصفيق حاد وهمس، ولكن هناك صوت قال ، لا داعي إلى الهمس ! ولكن بليخانوف قال ، يجب على الرفاق الا يكبتوا انفسهم.

مع أن لينين لم يتحدث في هذا المؤتمر، لكنه كان مساندا ومؤيدا لبليخانوف. وكما ظهر الانشقاق في مقال صحيفة"الشرارة"، وكشفت المجموعة نفسها، فإن لينين وبليخانوف في البداية عارضا نارتوف وتروتسكي. وفقط في السنة الثالثة، ظهرت بوادر الانقسام بين البلشفة والمنشفية. صار بليخانوف قائدا للمنشفيين، وتروتسكي خارج البلشفية والمنشفية. وهنا بدا بليخانوف في نقد كتاب لينين "ما العمل ؟" بعد ثلاث سنوات من ظهوره. وكل مجموعة من المنشفيين والبلشفيين تبنت الصيغة المركزية للتنظيم، إلى جانب نظرية بليخانوف ، وهي" دكتاتورية البروليتاريا".

ويجدر بنا مقارنة نظريات بليخانوف ولينين بنظرية روزا لكسمبورج، حيث إنها في عام ١٩١٥، وبعد الثورة في روسيا، تقدمت بمناقشات إلى الحزب الألماني الديمقراطي الاشتراكي بكتاباتها عن" نضال الجماهير"،"والحزب السياسي"،"واتحاد النقابات".

لعبت الثورة، حتى في وجود الديمقراطيين الاشتراكيين فوق رءوس البروليتاريا، الدور القيادي، ولم تكن مناورة من البروليتاريا بالمعنى العريض، لكن كانت صراعا لسحق وتغيير وتقويض الأساس الاجتماعي. باختصار، إن إضرابات العمال في روسيا لم تات بثمارها، ليس لأن العمال غير مثقفين، ولكن لأن القيمين على الثورات لا يسمحوا بالقيادة لسواهم، أيا كان هذا الشخص.

المادية الجدلية

أكدت الحركة الستالينية ان عبارة المادية الجدلية ظلت مرتبطة - على مدى طويل- بـ كارل ماركس، وإن كانت لم تستخدم من قبل، ولكن ليس في حياة ماركس. وقد أعلن لينين في مقدمة كتابه الصادر عام ١٩٠٨ "بعنوان" المادية ونقد الإمبيريقية"، ان ماركس وإنجلز قد استخدما- عدة

مرات- مصطلح المادية الجدلية للتعبير عن افكارهما الفلسفية، وقد كان لينين متاكدا من ذلك بحيث إنه لم يكن فى حاجة إلى الإشارة إلى مراجع.

إن ماركس لم يستخدم هذه العبارة قط فى كتاباته، لكن مصطلح المادية الجدلية ظهر فى عام ١٨٩١، عندما استخدمه بليخانوف استخداما خطأ - فى تقديرى - فى مقال نشر فى "العصور الجديدة". إننى اعتقد انه تبنى ذلك عن إنجلز فى كتاب" ضد دوهرنج" *Anti - Dühring* ، وكذلك نقلا عن ولودفيج فويرباخ. وهذا لم يكن مجرد اصطلاح، بل كان يرمى إلى مواجهة النزعة الشعوبية *Populist* وان يستبدل بها إرادة موضوعية ثورية كاساس لفكرته عن الثورة الروسية. وقد وضع بليخانوف فى مكانها الفلسفة المادية، التى لم تفسح المجال لأية إرادة، وهذه هى مادية ماركس. وبعد عدة سنوات، وفى عام ١٩٢٠، كتب لينين ان البلشفية قامت فى عام ١٩٠٣، على اساس ثابت من النظرية الماركسية.

كان بوجدانوف *Bogdanov* (١٨٧٣-١٩٢٨) من اقرب المعاونين للينين، ومدافعا متحمسا للآراء الأساسية لما يجب عمله، كما كان بوجدانوف من اتباع ماخ *Mach* المتحمسين. وكان يعتقد ان آراءه تقدم البديل العلمى للجدلية كاساس للاشتراكية.

وفى الفلسفة، كان إعجابنا شديدا بكتاب بوجدانوف، الذى دمج الماركسية فى نظرية المعرفة التى قدمها ماخ وافيناريوس. وقد اعتقد لينين، فى وقت ما، ان نظريات بوجدانوف صحيحة، وقال ، إننى لست فيلسوفا، ولكن بليخانوف يشجب فلسفة بوجدانوف، التى هى تمثل نوعا ما من القناع للمثالية. وبعد عدة سنوات، خصص لينين جزءا كبيرا لمناقشة ماخ وافيناريوس، وكان نقده لنظرياتهما يتطابق - فى الأساس- مع ما قاله بليخانوف.

وفى عام ١٩٠٥، ظهر كتاب ماخ "المعرفة والخطأ". وفى السنة التالية، اشترك الماخيون مع المانشيفك

والبلشفيك، واصدروا" دراسات فى الفلسفة الماركسية". وفى عام ١٩٠٨، صدرت طبعة من كتاب ماخ السابق إصداره ، وهو كتاب" تحليل الحواس". مع مقدمة موالية من بوجدانوف. وعندئذ، رأى لينين ان هذه الآراء المعروضة هى هجوم على الماركسية، مما يخجل زمرة البلاشفة.

وإلى وقت طويل، ألجم لينين لسانه، لاجتناب حدوث انشقاق داخل البلاشفة، وعقد اتفاقا مع مجلس تحرير صحيفة البلاشفة" *Prolitars*"، كى تظل على الحياد بالنسبة إلى الموضوعات الفلسفية.

وقد أسعد بليخانوف، الذى يقود زمرة المنشفيك المعارضين للينين، الخجل الذى متى به لينين. كتب بليخانوف اغلب الاتهامات التى كانت تقول بها مجموعة لينين. كانت الاتهامات موجهة إلى" الذاتيين"، الذين كانوا يشبهون الإزهاريين القدامى *Narpnik*. اتهم بليخانوف - بفرح وهو يهاجم لينين والنيتشويين والماخيين - من يتحدثون عن الاستيلاء على السلطة من الاشتراكيين الديمقراطيين، الذين يحولون دون قيام الثورة البرجوازية، بانهم يتحولون إلى الموقف السياسى" *Naradnaya Volya Troid*". وإلى وقت معين كان فيه لينين حائرا، اقترح النضال المزدوج مع بليخانوف وضد المنشفيك والبلاشفة الماخيين، ثم انهى لينين الاتفاق مع الماخيين البلاشفة، واصبح بينهما خلاف سياسي مهم، واستعار لينين عددا كبيرا من الكتب الفلسفية من لينتينوف الماخى المنشفيكى (١٨٩٠-١٩٧٥) الذى كان احد أهدافه فى كتاباته. وعكف لينين على كتابه" المادية ونقد الإمبريقية"، وقضى جانبا كبيرا من عام ١٩٠٨ فى هذا العمل فى لندن وجنيف وباريس. وقد قرر فالينتينوف ان لينين اعاد إليه كتبه كلها عندما فرغ من عمله. وتحت حكم ستالين، اصبح هذا الكتاب - بلا نقاش - مصدرا للجدلية المادية.

وفى كتاب" تطور النظرة الواحدية للتاريخ "، الذى صدر عام ١٨٩٤، كان بليخانوف حريصا، ولم يكن جدل الماخيين قد بدأ بعد، ولم تكن

"التحريفية" قد ظهرت بعد.

المادية تحاول أن تشرح الظواهر الطبيعية على نحو أو آخر من نوع المادة، بهذا أو ذاك من منظمات الإنسانية، وبلفظ أعم، الجسد الحيواني، وهذا كل ما يمكن قوله عن المادية بصفة عامة.

وفي مقدمة كتاب بليخانوف "مقالات عن تاريخ المادية" (١٩٩٦)، تجاوز عن المسائل جميعها حول نظرية المعرفة.

ومادمت لا أعد نفسي من الموالين للمدرسة النظرية الرائجة حاليا، فليست لدي النية في الإمعان في النظر في هذه المسألة الثانوية جدا.

ولكن في عام ١٩٠٨، أجاب بليخانوف - في تحد سافر - عن بوجدانوف، وكتابه" نضال المادية"، وهاجم آراء بوجدانوف السطحية. وبالنسبة إلى بليخانوف وإلى لينين، فإن الطريق إلى مواجهة الهجوم الفلسفي على الماركسية، التي كانت سائدة في الدولية الشيوعية آنذاك، تتمثل في إبراز الاستمرارية بين آراء ماركس وإنجلز والماديين السابقين.

وقد ظن بليخانوف ولينين أن هذا يعني التركيز على كيف كان الماديون. وهكذا، فإن بليخانوف أعطى في كتابه السابق تعريفا للمادة.

وبالمفارقة بين الروح والمادة، فإن المادة تعمل على الأعضاء الحسية، وتثير فينا الأحاسيس المختلفة. ونطلق على الأشياء" الأجساد" المادية أنها تلك الأشياء التي توجد مستقلة عن مشاعرنا، وتعمل على احاسيسنا، وتثير فينا المشاعر المعينة، التي بدورها تبرز فكرتنا عن العالم المادي. وهذا عن الأشياء المادية، وأيضا عن علاقاتهما المتبادلة.

تمشى بليخانوف في تعريف المادة مع عمانوئيل كانط في كتابه" الأشياء في ذاتها"، ولكنه رفض ربط عمانوئيل كانط بأن " الأشياء في ذاتها لا تقبل المعرفة". وهل هذا يعني أن حواسنا تعطي لنا معرفة مباشرة بالمادة ؟ يجيب بليخانوف بالسلب. إن ما نحصل عليه من حواسنا هو رموز هيروغليفية يجب فكها بالفكر.

إن تعريف بليخانوف للمادة له تاريخ مشرف، ولكن ليس في أعمال

ماركس وإنجلز. إن هذه المادة، التي أعطيت لنا في مشاعرنا، كانت - بكل تأكيد - هي رؤية الماديين القدامى، الذين كانت كتاباتهم معروفة جيدا لبليخانوف. وقد اقتبس هذا التعريف من هولباكس المادي الميكانيكي العظيم في القرن الثامن عشر. وقد كانت المادة بالنسبة إلى هولباكس هي التي تلعب - بطريق أو آخر - على أحاسيسنا، ولكن هؤلاء كانوا المفكرين البرجوازيين، بمعنى أنهم يأخذون الناس على أنهم غير مترابطين. وبالنسبة إليهم، فإن الأحاسيس هي الآثار العضوية التي خلفها تأثير الأجساد الخارجية في هؤلاء الأفراد. والمعرفة كانت التناقض الضمني للتجاوب السلبي للأفراد المواطنين، المفترض وجودهم خارج المجتمع.

وقد أقدم لينين - على الأخص - ليظهر أنه فليسوف راديكالي أكثر من بليخانوف، وشحذ "ماديته"، وأصر على أن المشاعر هي نسخة من الواقع المادي. إن نظرية الهيروغليفية التي أعلنها لينين، توافق محظورا مع اتباع "كانط" والوضعيين، قائما على القول إن "حواسنا بعبارة عن صور من العالم الخارجي، ولكي نتعرف الحقيقة الموضوعية ؛ وهكذا تقييم للنظرية المادية في المعرفة - ذلك كله الشيء نفسه". وقد أوقف بليخانوف استخدام تعبير الهيروغلونية، قائلا إنه كان غلطة.

إن نظرية الصورة المطابقة عند لينين، والتي من الصعب رؤية ماذا كان يقصد بها، كانت تشير إلى استبعاد الآثار الأخيرة للمثالية والذاتية. ولكن في الواقع، تركت الجدلية المادية محورا غير ثابت بالنسبة إلى رؤية الحقيقة الموضوعية قائمة على المشاعر الفردية.

في كتاب "المادية ونقد الإمبيريقية"، يبدو أن لينين كان غير مدرك لنقاط الضعف. ولكن بالنسبة إلى القضايا الأساسية، فهو ليس بقادر على التحرر من النفوذ الفلسفي لبليخانوف. وبعد عشرين سنة، تحولت أعمال لينين من الصراع الحي إلى عقدة دينية، وقد أقام بذلك قاعدة لفلسفة البيروقراطيين. وقد سجل لينين ملحوظة إنجلز في كتاب "لودفيج

فويرباخ" ، أن المادية لابد أن تغير من شكلها مع كل اكتشاف من اكتشافات الحقب، منها مجال العلوم الطبيعية. ولكن" المادية ونقد الإمبيريقية" بمقوماتها كلها، ثبتت كنص نهائى ومركز لقدسية الجدلية المادية. وهذه النظرة الإجمالية كانت إجبارية للستالينية، ولكن أتباع تروتسكى كانوا ضد الستالينية، لم يستطيعوا ان يتحدوها ، ولذا حرروا أنفسهم من آثارها. إن مفاهيم لينين السياسية قد تم عرضها، فى ممارستها، لتحيط بها المعارض من كل جانب، ولكن احدا لم يستطع قط ان يوضح الأساس الفلسفى لهذا الفرق الحيوى، او اتجاهاته نحو اعمال بليخانوف ككل. ومع شجب التعاليم السياسية لبليخانوف عام ١٩٠٥، واتجاهه نحو الحرب العالمية ١٩١٤، وتعضيده عام ١٩١٧ للحكومة الإقليمية، فإن كرنيس لم يتوقف قط عن تقدير اعمال بليخانوف، ولم ينفصم عنها علنا قط. ويثير الانتباه أن آراء بوجدانوف برزت فى الواقع - مرة اخرى - فى تاريخ البلشفية، من خلال تاثير بوخارين.

لينين فى مواجهة التزمت الفكرى

حتى شهر أغسطس من عام ١٩١٤، كان لينين يعقد السلطة النظرية لكارل كوتسكى، بلا اية معارضة اساسية. ومع ان البلاشفة حاربوا خط بليخانوف السياسي لحقبة زمنية، فإن كتاباته عن الفلسفة تواصل قبولها لديهم، كامتداد اصيل لأعمال ماركس وإنجلز، مع تعديلات طفيفة.

وفى أوائل القرن العشرين، فإن كوتسكى - كقائد معترف به للاممية، وبمساندة بليخانوف - كتب، ووقع احيانا، قرارات بالتزام الطبقة العاملة العمل ضد الحرب الإمبريالية. ثم فى اغسطس ١٩١٤، اصبح الاثنان مؤيدين لمعارضة الإمبراطوريات فى الحروب الإمبريالية. وعندما صوت الديمقراطيون الاجتماعيون الألمانيون لمصلحة ميزانية الحرب للقيصر فى الريشستاج، كان ليبنخت هو الصوت الوحيد الذى اعترض. وقد وجد كوتسكى" أبو الماركسية" اقتباسات من ماركس وإنجلز تحقق نوعا من التوافق. وانتهت العالمية الثانية

كمنظمة للاحزاب العمالية المقبولة على مستوى العالم.

وهذا التقويم لقائد الماركسيين المتزمتين، لم يكن مفاجأة لروزا لوكسمبورج، التى انفصمت عن كاوتسكى منذ اربع سنوات، فى نزاع انضم فيه لينين إلى كوتسكى. والآن حللت بمهارة انطلاق العالمية، وحاربت مع معاونيها - ببطولة -إعادة تاكيد مبادئ البروليتاريا العالمية. وفى عام ١٩١٩، واجهت الموت الوحشى على يد سفاحين، بتشجيع من قادة الاشتراكية الديمقراطية.

ولكن خيانة لينين لكوتسكى عام ١٩١٤، لم تكن متوقعة قط. ولذا صمم، من جراء الصدمة لهذا التطور، ان يكتشف تأثيراتها الموضوعية، وبدا فى التدقيق فى كل مظهر من مظاهر افكار الأممية، ومنها افكاره، مع انه قلما يذكر ذلك.

وفى سويسرا، ومع بداية الحرب، عكف على دراسة الفلسفة، وعلى الأخص دراسة هيجل. وفى مذكراته لعامى ١٩١٤و١٩١٥، يمكن تتبع كيف ان دراسته لكتاب هيجل" العلم والمنطق"، ولجزء من تاريخ الفلسفة، اصبحت من الأهمية بمكان له. وكان من الطبيعى ان تنكر النسخة الستالينية للتاريخ، الطبيعة الراديكالية لهذا التحول فى فكره. وفى عام ١٩٠٨، دافع لينين فى كتاب" المادية ونقد الإمبيريقية" عن الأرثوذوكسية، واعتمد فى ذلك بشدة على اعمال بليخانوف، والاقتباسات من كوتسكى. ولكن فى مذكرات لينين لعام ١٩١٥، كتب عن" كتاب راس المال" لماركس ،"إنه بعد نصف قرن لم يفهم أحد من الماركسيين ماركس". وإن نقد لينين الذاتى لا يمكن إبعاده على انه اقوال طنانة. وقد حاول استخدام هيجل ، لتعميق وتوضيح الانفصام النظرى والسياسى مع كوتسكى وبليخانوف، الذى عده أمرا ضروريا.

" الماركسيون الأرثوذوكسيون - وانا منهم - حاروا وحاولوا راب الصدع بين مذكرات لينين وكتاب" المادية ونقد الإمبيريقية"، الذى كتب قبل هذه المذكرات بست سنوات. ولم يكن ذلك

ممكنا. فمثلاً فى عام ١٩٠٨، طابق لينين بين الفلسفة المثالية والظلامية الإكليريكية. وبعد سبع سنوات المثالية، فإن المثالية الذكية أكثر قربا من المادية الذكية عن المادية الغبية. وفى كتابه السابق، كانت خلافاته مع بليخانوف ثانوية. وفيما بعد، فإن لينين لم يستطع قط أن يستكمل انفصامه عن الأفكار الفلسفية التى نقلها عن بليخانوف.

لينين والدولة

فى يوليو من عام ١٩١٧، بعث لينين بمذكرة إلى كامنيف (١٨٨٣-١٩٣٦)، كشف فيها النقاب عن القصة الحقيقية لتطور الماركسية :

الرفيق كامنيف - فى ثقة تامة وسرية - إذا قُتلت ، فإننى التمس منك أن تنشر مذكرة" الماركسية والدولة"، المودعة فى خزانة فى استوكهولم فى مظروف أزرق، وفيها مختارات من ماركس وإنجلز، وكذلك اختلافات كاوتسكى مع بانيتوك، وكذلك سلسلة ملاحظات ومراجعات للرؤى. ولكن يجب فقط تنقيتها.

واظن أن هذا العمل يمكن نشره خلال أسبوع، واظن أيضا أن هذه المذكرة مهمة جدا، لأن كوتسكى وبليخانوف هما فقط اللذان خرجا عن الطريق.

وعندما بدأ لينين كتابة هذه المادة فى" الدولة والثورة" لم يتم العمل قط، وأصابته الدهشة ان يجد كيف أن رؤى ماركس وإنجلز قد نُسيت. وكان هذا مثيرا جدا، خاصة عندما وصل الأمر إلى مسالة مصير الدولة فى مسار التحول إلى الشيوعية بعد الثورة البروليتارية. وعلى سبيل المثال، فقد اقتبس لينين من كتاب ماركس" فلسفة البؤس" قول ماركس :" إن الطبقة العاملة ستقيم مكان المجتمع البرجوازى القديم اتحادا يحول بين الطبقات وبين اعدائها، ولن تصبح هناك سلطة سياسية اكثر اصالة من ذلك. وفى" البيان الشيوعى"، وجد لينين ما أسماه سخرية الكلمات المنسية للماركسية.

إن الخطوة الأولى فى الثورة فى الطبقة العاملة، هى رفع البروليتاريا إلى موقع الطبقة الحاكمة ، لكسب

معركة الديمقراطية. والبروليتاريا ستستخدم سلطتها السياسية لتصارع بالتدريج رأسمال البرجوازية، لتركز عناصر الإنتاج جميعها فى يد الدولة والبروليتارية المنظمة، كطبقة حاكمة.

ومما يثير الاهتمام أن نلحظ فى كتاب" الدولة والثورة" للينين - وفى وضوح تام- أن عبارة" دكتاتورية البروليتاريا"، التي استخدمها ماركس وإنجلز فى بعض الأحيان، مساوية تمامًا لفكرة ، إن البروليتاريا ستنظم نفسها كطبقة حاكمة، ثم تبدأ الدولة - من فورها - أن تذوى.

وقد سجل لينين التطور الذى استطاع ماركس أن ينجزه لكمونة باريس" عام ١٩٧١. وحاليا، يمكن أن يكون واضحا أن الشروط السابقة لأية ثورة حقيقية شعبية فى القارة، لم تعد كما كانت ، أى أن تقوم بتحويل آلة البيروقراطية العسكرية من يد إلى أخرى، مع أنها تطحنها، ماذا كان من الممكن أن يحل محل هذه الآلة ؟ يذكر لينين أن ماركس راى أن الشكل البديل، هو فى الأسلوب الذى تنظم به اللجان الثورية نفسها ،

١- أن يقهر الجيش، ويحل محله "الشعب المسلح".

٢- ممثلو الشعب يتم انتخابهم باقتراع عالمى، ويكونون موضع النداء فى أى وقت، يدفع لهم كأجور العمال، وأن يكون القضاة أيضًا بالانتخاب.

٣- بدلاً من الشخص التنفيذى الذى يتعذر على الناخبين أن يصلوا إليه، فإن اللجنة الثورية تكون عاملة، وليست كهيئة برلمانية، ولكن تنفيذية وتشريعية فى الوقت نفسه.

٤- اللجان الثورية المحلية ستتولى كثيرًا من مهام الحكومة المركزية.

عندما تحدث ماركس عن قلب النظام القائم بالعنف، وتأسيس دكتاتورية بروليتارية، فإن ذلك هو ما كان فى ذهنه. وفى ١٩١٧، اتفق لينين معه فى رؤية العمال السوفيتيين، ونواب الجنود فيما يتصل بمثال الروسيين المساوين للجان الثورية، ومثال الجمهورية الديمقراطية من نوع اللجان الثورية. ولكن مع الوحشية والدمار لحروب التدخل والحروب

الأهلية، أزيحت العقائد جميعها، وهذه الآراء نسيت مرة اخرى.

ربما فيما عدا" رسالة ابريل" من قبل بضع سنين مضت، لم يكتب لينين شيئا مثل" الدولة والثورة"، وكتابه إلى بليخانوف فى المسائل النظرية تقريبا فيه قبول بتفسير معلمه الفذ لعبارة "الدكتاتورية البروليتارية"، التى دونت فى برامج كل من اجنحة المنشفيك والبلشفيك فى الحزب. وكما رأينا، فإن بليخانوف هو الذى أدخل الاعتقاد أن هذه الدكتاتورية يجب أن تمارسها اقلية مخلصة، فى شكل دولة معارضة لتلك الديمقراطية.

وفى الأعوام من ١٩١٤ إلى ١٩١٧، أعاد لينين اكتشاف جزء من آراء ماركس الشيوعية. ومن طريق النقد الذاتى، حاول تطوير آرائه على ضوء انهيار العودة الدولية لأغلب المسائل الأساسية، وكان يحزن لتزييفها فى الحركة التى شارك فيها. وهذه الكتب تتخلل - فى تفهم عميق - طريق الإنسانية، لتحرير نفسها من خلال الثورة العالمية الاشتراكية. ومهما يكن، فهذه الكتب تمثل بداية العمل الذى لم يتواصل، ثم نسى بعد ذلك، وحتى بعد أن اصبحت المظاهر السياسية لكوتسكى وبليخانوف واضحة للجميع. وكان لينين منهمكا فى الدفاع عما اعتقد انها آراء كارل ماركس وإنجلز ضد هؤلاء، فلينين لم ينشر كلمة واحدة يتحدى بها فلسفتهم. وحتى عندما بدا فى أن يرى اهمية هيجل لفكر ماركس، والمح إلى سطحية مناقشة بليخانوف لماركس، فهو لم يستطيع أن يحرر نفسه من تاثير معلمه. وبعد عام ١٩١٧، لم تعد هناك فرصة لمواصلة هذا التقدم او التمعن فى دلالاته. وبعد ذلك، فإن الصورة الأسطورية للينين، التي بلت بها الستالينية العالم، منعت عمل اى تقويم موضوعى.

إنجلز والماركسية

لقد عمل فريدريش إنجلز مع ماركس عن قرب، منذ عام ١٨٤٤ وحتى وفاة ماركس فى عام ١٨٨٣. ومنذ ذلك التاريخ وحتى وفاته عام ١٨٩٥، كان إنجلز القائد المميز في الحركة السريعة التقدم المعروفة باسم" الدولية الثانية".

لقد كان من المعتاد السماع دائما بضيق إنجلز من تبسيط آراء ماركس، واعتقد ان هذا خيارسهل. إنه لمن الصحيح والمؤكد ان بعض الصياغات قد أدت إلى انتشار عدة مفاهيم غير مكتملة، وبوجه خاص فكرة كتاب"راس المال" لماركس، الذى قيل عنه إنه كتاب عن" الراسمالية الاقتصادية"، التى تعود إلى معالجة إنجلز الجزاين الثاني والثالث من" راس المال"، وذلك اكثر من إلصاق هذه الشائعة بكتاب "ضد دوهرنج"، الذى ترجم الجزء الثالث منه إلى اللغة الإنجليزية.

وكيفما قارنا اعمال ماركس الأخيرة، فإن اخطاء إنجلز غير مرئية. وفى نهاية حياته، كان - تقريبا - وحيدا، منعزلاً فى بحر من الانتهازية، ويحارب منفردا للمحافظة على معتقدات ماركس الأصيلة كما فهمها، وقد استغل اتباعه العنف فى تلك الأعمال والكتابات فى بناء ماركسيتهم. وفى هذا التطور، فإن تلك الأعمال هى التى لعبت دورا مميزا فى انتشار آراء ماركس، والتى أسىء تفسيرها بالسوء نفسه، تقريبا، الذى فسرت به كتابات ماركس نفسه.

لقد كتب إنجلز كتاب" ضد دوهرنج" فى حياة ماركس، وسريعا ما أصبح هذا المؤلف الأكثر شعبية بين من كتب عن نظريات الحركة الاشتراكية. وفيما بعد طبعت اجزاء من هذا الكتاب تحت عنوان ، "الاشتراكية الخيالية والاشتراكية العلمية"، والتى قال فيها إنجلز :" لقد كانت انا وماركس الوحيدين من الناس، اللذين انقذا الجدلية الواعية من الفلسفة المثالية الألمانية، كما طبقنا الجدلية الواعية على فكرة مادية التاريخ والطبيعة." ومثل هذه الملاحظات فى النص، نشر بين القراء، وهذه الملاحظات لا تقول كل ما فكر به ماركس حول هذه الموضوعات. ولكن- بطريقة او باخرى - لقد اكدت هذه الأراء الصورة التى رسمها بليخانوف (نسبة لبليخانوف)، وهذا كان اقرب ما تكلم به إنجلز عن" الجدلية المادية".

المادية السابقة نظرت إلى التاريخ القديم كانه كُون من الصراع بين اللاعقل والعنف، فى حين ان المادية

الحديثة ترى في الصراع أنه السبيل إلى تطور الإنسانية، وتبتغي اكتشاف القوانين لذلك التطور. ومع فرنسيي القرن الثامن عشر، وحتى مع هيجل، لقد كانت الفكرة السائدة آنذاك عن الطبيعة ككل ، أنها تدور في حلقات صغيرة ثابتة إلى الأبد... في حين أن المادية الحديثة ترحب بالاكتشافات حول العلوم الطبيعية، وهي التي تؤكد أن الطبيعة لها أيضا تاريخها. وفي كلتا الحالتين، فإن المادية الحديثة بالضرورة جدلية، ولم تعد تحتاج إلى أية فلسفة تحلق فوق العلوم.

هذه الفقرة لم تكتب بالوضوح المعهود في كتابات إنجلز، ولكنها لا تساند الفكرة التي تنادي بأن" المادية القديمة" هي المادية الحديثة نفسها، مع إضافة صبغة ديالكتيكية. ومن المؤكد تطبيق الجدل منفردا على الطبيعة والتاريخ، ولكن إنجلز كان يناقش العكس ، وذلك بأن الجدلية عند هيجل قد أعيد تاسيسها على قواعد مادية.

مخطوطات إنجلز عن العلوم الطبيعية غير المكتملة كتبها إنجلز عام ١٨٧٠، ولكن نشرت فقط عام ١٩٢٥، تحت عنوان جدليات الطبيعة. ولكن الماركسيين نشروا هذه النظريات للعالم الخارجي، مع أن إنجلز كتبها كتجربة مؤقتة وسماها" القوانين والجدل ". ولكن الماركسيين حولوها إلى تعاليم" نقشت على الحجر"!

وفي عام ١٨٨٨، كتب إنجلز مقالة اخرى ، فأصبحت هذه ايضا مصدرا"للمادية التجريبية". ثم نقلها بليخانوف إلى الروسية، واضاف إليها نقاط شرح عديدة، مما جعلها الجزء الأهم في مدفع الماركسية.

كيف صاغ إنجلز السؤال عن المادية ؟

السؤال الأساس للفلسفة ككل، وخصوصا الفلسفة الحديثة، هو ما يتعلق بالعلاقة بين التفكير والوجود... والإجابة عن هذا السؤال قسمت الفلاسفة إلى فريقين، فريق ارجع وجود الحياة الأولى إلى الطبيعة، وفي اللحظة الأخيرة افترض وجود الخلق بطريقة أو بأخرى. ومن هذا الفريق ، الفلاسفة. وقد اصبح هذا التفسير معقدا جدا للمسيحيين الذين هم معسكر المثاليين. والفريق الآخر

يعتقد أن الطبيعة هي الأصل، وهذا الفريق ينتمي إلى مدارس عدة من النظرية المادية.

وفيما بعد، لقد قارن إنجلز آراءه وآراء ماركس بآراء هيجل. وقد تحولت لتناسب العالم الحقيقي، عالم الطبيعة والتاريخ، تماما مثلما هي، وكما تظهر لأي إنسان يقترب منها، وكما هي متحررة من أية إضافات مثالية. ومن دون رحمة لقد تقرر التضحية بكل جزء مثالي لا يقترب ولا يتناغم مع الحقائق الموضوعة. والمادية هي كذلك، ولا شيء سوى ذلك.

لقد تفهمنا الآراء التي تدور في رءوسنا مرة أخرى، ولكن بطريقة أكثر "مادية" - نراها كصور لأشياء حقيقية، بدلاً من أن نرى أشياء حقيقية كصور. وهكذا، فإن الجدلية خفضت نفسها إلى علم القوانين العامة للحركة، لكل من العالم الخارجي وفكر الإنسان، وهما قانونان تطابقا في الجوهر، واختلفا في المظهر، نتيجة اختلاف مقدرة الذهن من إنسان إلى آخر، في حين أنهما يعبران في طبيعتهما عن نفسيهما، طبقا للضرورة الموضوعية، وطبقا للسلسلة غير المنتهية من الظروف الواقعية. وبهذه الطريقة، أصبحت الجدلية - وآراؤها - مجرد انعكاس لحركة العالم الحقيقي، وهكذا جدلية إنجلز، التي كانت في رأسه، فأصبحت ثابتة على قدمين.

أنا لا أعتقد أن هذه كانت مادية بليخانوف ، لأن قوانين التاريخ عند إنجلز قد نظمت نفسها بلا وعي حتى الآن.

وعلى كل حال، يجدر بنا أن ننظر إلى هيجلز كمفكر حر، ولا ننظر إليه على أن كتاباته كانت فقط من إيحاءات ماركس ، لأن هذا سيأخذني بعيدا عن دراستي. وفي هذا السياق، فقد حددت لنفسي الاقتصار على دراسة كتابات ماركس.